الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد

UNIVERSITÉ DE TLEMCEN

كلية الآداب واللغات

قسم اللّغة والأدب العربيّ

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربيّ

تخصّص: أدب حديث ومعاصر

الموسومة ب:

البعدُ الحضاريُّ في روايةِ لبّيكَ حجُّ الفقراءِ لمالكِ بنِ نبيّ

إعداد الطالب:

يونس جعواني

بإشراف:

أ.د. عبد الله بن عيني

لجنة المناقشة		
أ.د. محمد سرير	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د. بن عبد الله واسيني	جامعة تلمسان	ممتحنا
أ.د. عبد الله بن عيني	جامعة تلمسان	مشرفا مقررا

العام الجامعي :1446-1447هـ /2024-2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والعرفان

نشكر الله عز وجل صاحب الفضل في كل النعم الذي وفقنا للوصول إلى نهاية هذا

العمل المتواضع ،كما لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذي

المحترم عيني عبد الله الذي رافقني طيلة القيام بهذا العمل فلكم منا أسمى عبارات الاحترام

والتقدير ،وإلى كل من مدّ لنا يد العون والمساعد.

الاهـــــــداء

إلى الوالدين الكريمين اللذين كانا دومًا السّند والداعم،إلى جميع أفراد العائلة،

إلى أساتذتي ومعلميّ الّذين أناروا لي درب العلم،

إلى أصدقائي الذين شاركوني الرحلة بكل حب ووفاء...

أهديكم ثمرة جهدي، تقديرًا وعرفانًا.

مقدمة

تعد الرواية من الفنون النثرية التي لها أهمية كبرى، وقد نالت شهرة كبيرة واهتماما بالغا من لدن النقاد والمهتمين، حيث هيمنت على الساحة الأدبية ردحا من الزمن، ومسّ التطور مختلف جوانبها، وتميّزت مواضيعها بالتنوّع بين الاجتماعي والسياسي والثقافي والديني فكانت خير أداة للترويح والتهذيب والإصلاح والتوعية والتوجيه، ومكنت القارئ من أن يعيش الواقع بأشكال مختلفة وذلك لأنّها فتحت ما ستغلق عليه من أبواب، وبينت له حدود الحياة وكيفية عيشها على الشكل الصحيح .

وتندرج رواية لبيك حج الفقراء ضمن ما يمكن تسميته بالرواية الفكريّة الدّينيّة الّتي تتداخل فيها البنية السّرديّة مع التّأمّلات الفلسفيّة والهموم الحضاريّة لتشكل لنا تجربة أدبيّة ذات طابع تجريبي غير مألوف، فهي تطرح لنا محاولة نادرة في الأدب العربي من خلال الدّمج بين الشّكل الروائي والطّرح الحضاري، مما يجعلها قابلة لقراءات متعددة تمنح الباحث فرصة فهم الأبعاد العميقة لرؤية مالك بن نبي حول مشكل الحضارة التي شكّلت لبّ مشروعه الفكري، فمن خلالها أراد مالك بن نبي طرح مجموعة من الأسئلة في سياق التأمّل الحضاري والروحي العميق.

ولقد جاء اختياري لموضوع بحثي الموسوم "بالبعد الحضاري في رواية لبيك حج الفقراء" لمالك بن نبي كموضوع شيّق وهام، أضف إلى ذلك أن الرواية غنيّة بالأفكار التي تسهم في النهوض بالمجتمع الإسلامي، لسبر أغوار هذا الغنى وقفت عند التساؤلين التاليين:

-هل هناك علاقة بين إسهامات الفكرية لمالك بن نبي وعمله الأدبي الوحيد المتمثل في رواية لبيك حج الفقراء؟

-ما هي الرسالة الحضارية التي أراد مالك بن نبي أن يبلّغها للقارئ من خلال روايته؟

ويرجع اهتمامي بالموضوع إلى إعجابي بالرواية كفن نثري أولا، ثم رواية لبيك حج الفقراء ثانيا، فهدفنا من هذه الدراسة هو الوقوف على الاتجاهات الحضارية والثقافية في

الرواية، إضافة إلى كشف النقاب عن فكر مالك بن نبي على ضوء عمله الأدبي والتعرف على جوانب الإبداع عند مالك بن نبي في الكتابة الأدبية .

ولقد اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي لأنّه الأنسب لدراستي، وانتهجت خطة تمثلت في مقدمه ومدخل وفصلين وخاتمة.عنونت الفصل الأول بالمكون الثقافي في رواية لبيك حج الفقراء تطرقت فيه الى ثلاثة مباحث:تطرقت في الأول إى تجليات تجليات الموروث الثقافي في الرواية و الثاني بالبعد الديني في الرواية أما المبحث الثالث فتناولت الرؤية الفلسفية والفكرية في الرواية ،أما الفصل الثاني فقد عنونته بالمكون الاجتماعي في الرواية. وتناولت فيه مبحثين الأول عالجت فيه الواقع الاجتماعي في رواية لبيك حج الفقراء

أما الثاني بلبعد الاجتماعي للشخصيات

وقد واجهتني عدة صعوبات منها قلّة المصادر والمراجع المتخصصة في الموضوع لأن ابن نبي معروف كمفكر وليس كأديب، إضافة إلى أن النص مكتوب بالفرنسية، وقد ظهر في ترجمتين مختلفتين وإن كانت الترجمة الثانية لزيدان خوليف عام 2009 هي الأقرب إلى النص الأصلي لهذا اعتمدت عليها في الدراسة.

واستندت في بحثي هذا على مجموعة من المصادر والمراجع وفي مقدمتها رواية لبيك حج الفقراء إضافة إلى:

-كتب مالك بن نبي: شروط النهضة، وميلاد مجتمع

وبن براهيم الطيب: مواقف وأفكار مشتركه بين مالك بن نبي وابن خلدون.

وفي الأخير أتقدم بالشكر إلى كل من رافقني في هذا العمل وعلى رأسهم الأستاذ المشرف بن عيني عبد الله من خلال ما قدمه من توجيهات ونصائح فلكم منا جزيل الشكر والاحترام والتقدير. ا يونس جعواني :تلمسان 2025/07/10

مدخل: نظرية الحضارة

أولا: مفهوم الحضارة

ثانيا: فلسفة مالك بن نبي

ثالثا: المقصد من الحضارة

أوّلا / مفهوم الحضارة

يعدّ موضوع الحضارة من أهمّ المواضيع التي تثار في عصرنا لما له من صلة قوية بواقعنا، فهو يتعلّق بمصير الشّعوب وما تطمح إليه من تقدّم مادي بصفة عامة أو معنوي بصفة خاصّة، وقد قامت عدّة دراسات حول فكرة الحضارة وملابساتها تمخّضت عنها نظريات تحدّد مفهومها وآلياتها وأفضل السبل التي تمكن من تجسيدها، فهي وفق ما حدّدته معاجم اللّغة العربية نتاج الإقامة في المناطق الحضارية وما يتبع ذلك من تقدّم علمي وأدبي واجتماعي وسياسي[1].

وإذا عدنا إلى الماضي نجد حديثا عن الحضارة عند ابن خلدون، الذي يعدّ أوّل من ربط عملية تعريف الحضارة بالجانب المادي، فأطلق عليها اسم "دورة العمران" حيث فرّق في مقدّمته بين العمران البدوي والعمران الحضري، وجعل أجيال البدو والحضر طبيعة في الوجود، فالبداوة أصل الحضارة فإنّ الحضارة غاية البداوة ونهاية العمران[2].

وقد رأى أنّ الحضارة تمر بمراحل فالبداوة أوّلها ثمّ يتبعها التّرف واتساع الأحوال في حال حصول المُلْك وبعد بلوغ أوجه التطوّر والرّقي فإنّها تعود إلى مرحلة السّقوط والهبوط والتّلاشي.

ويعدّ الإنسان هو العنصر الأوّل المشكّل للحضارة ومركز ثقله هو العقل بالإضافة إلى دورة زمنية أو ما يصطلح عليه العمر أو الحياة إضافة إلى المكوّنات الخاضعة لتسخير الإنسان، كما أنّ الحضارة جزء من التاريخ ولا حضارة بدون تاريخ وكلّما تفاوت الإنسان بين البدائية والتطوّر تفاوت تاريخه وحضارته فكلاهما تعبير إنساني. فالحضارة مرآة عاكسة للإنسان وجهاز لقياس قوّته وضعفه، وهي نسيج مركّب اجتماعيّ وثقافيّ وفكريّ ونفسيّ وتاريخيّ ودينيّ

1- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ابن منظور، ت: خالد راشد القاضي، دار الأبحاث، الجزائر، ج 2،ط2، 2008، ص202.

2- آمنة تشيكو: مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد توينبي، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص18.

واقتصادي وهي شديدة التعقيد والتّداخل والإنسان هو عنكبوت نسيجها الحضاري فهي إبداع لخدمة الإنسان وتلبية حاجياته ورغباته وتوفير الرّاحة والسّعادة والرّخاء له[1].

ويعرّفها أبو الأعلى المودودي بأنّها "نظام متكامل يشمل كل ما للإنسان من أفكار وآراء وأعمال في حياتهم الفردية أو العائليّة أو الاجتماعيّة أو الاقتصاديّة أو السياسيّة"[2].ويفهم من هذا التعريف أن الحضارة ليست مظهرا واحدا بل هي شبكة متعددة مترابطة تتفاعل فيما بينها لتشكّل لنا كيانا متماسكا، فلا يمكن الفصل بين عناصره المتعددة والمتمثلة في الثقافة والاقتصاد والأخلاق والسياسة والدين .

في حين يعرّفها وول ديورانت بأنّها "نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة في الإنتاج الثّقافي ويرى أنّها تتألّف من أربعة عناصر هي الموارد الاقتصادية، النّظم السّياسية، التقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون. وتبدأ الحضارة حين ينتهي الاضطراب والقلق لأنّه إذا أمن الإنسان من الخوف تحرّرت في نفسه دوافع التّطلّع وعوامل الإبداع والإنشاء"[3].

والملاحظ أنّ تعريف وول ديورانت جعل للحضارة عناصر متعدّدة ولا تعتمد على عنصر واحد في نشأتها وتطوّرها، و للإنسان دور مهمّ إلاّ أنه ليس مطلقًا، فالعلم والفكر هما اللّذان يدفعان الحضارة إلى الأمام.

في حين يرى حسين مؤنس أنّ "الحضارة ثمرة كلّ جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصود أو غير مقصود وسواء كانت هذه الثمرة مادية أو معنوية"[4].

ويعرّفها اشبنغلر قائلا: "إنّ الحضارة هي نفس بلغت التعبير عن ذاتها بأشكال محسوسة ومعقولة، لكن هذه الأشكال هي حيّة متفتّحة وولود ويوجد في رحمها داخل الكينونة المصعدة

1- ينظر: بن براهيم الطيب، مالك بن نبي وابن خلدون مواقف و أفكار مشتركة،دار مدني للطباعة و النشر و التوزيع،الجزائر، 2002،ص54-56.

2- المرجع نفسه: ص58.

3- وول وايريل ديورانت: قصه الحضارة،ترجمة زكي نجيب محمود، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت لبنان،المجلد الأول، ج1،دط، ص05.

4- حسين مؤنس: الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة، الكويت، 1978،ص13.

للأفراد والجماعات...ليست الحضارة شيئًا عظيما فقط بل إنها شيء عظيم لا يماثله أيُّ شيء آخر في هذا العالم العضوي فهي النقطة الواحدة التي يسمو عندها الإنسان بنفسه فوق الطبيعية ويصبح هو نفسه خالقا"[1].

أمّا ليتري فيرى بأنّ الحضارة تتكون من مجموعة الآراء والعادات والتقاليد الناتجة عن تفاعل مكوناتها المتمثلة في الفنون الصناعية والدين والفنون الجميلة والعلوم فالحضارة في نظره حياة معنوية قبل أن تكون مادية .[2]

وعليه فالحضارة هي مجموعة المظاهر التي تعبّر عن التّقدّم والرقي الإنساني في مختلف الميادين، كاللّغة والأدب والفنون والصّناعة والتجارة وغيرها من نشاطات الإنسان للبحث عن حياة إنسانية كريمة، أما حديثا فيكاد ينحصر مفهومها في التطور العلمي والتكنولوجي وما ينتج عنه من تقدّم في الميادين الأخرى.

ثانيا: فلسفة مالك بن نبي

يعد مالك بن نبي من الرواد المسلمين المعاصرين في الفكر الحضاري حيث اطّلع على " فلسفات الحضارة الحديثة وتمثلها عميقا واستلهم في أحايين كثيرة أعمال بعض الفلاسفة الغربيين"[3].

فانطلق من السؤال: ما هي الحضارة؟ وشرع في بحثه من خلال سلسلة من الكتب تحت عنوان "مشكلات الحضارة" وللإجابة عن هذا السؤال فقد تناولها من عدّة جهات.من حيث تركيبها وتكوينها ووظيفتها وتطورها تاريخيا واجتماعيا، فكان يرى أنّ المقياس العام في عملية الحضارة هو "الأمة التي تلد منتجاتها"[4].

1- أسوالد اشبنغلر: تدهور الحضارة الغربية، ت:أحمد الشيباني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ص487.

2- ينظر :آمنة تشكو: المرجع السابق، ص18.

3- فهمي جدعان:أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، دار الشروق، ط3، 1988، ص416.

4- مالك بن نبي: شروط النهضة، دار الفكر والطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، 1986، ص42.

فالناتج الحضاري تنطبق عليه الصيغة التحليلية التالية:

ناتج حضاري = إنسان + تراب + وقت.

بالإضافة إلى هذه المركبات يجب توفر مركب يرافق تركيب الحضارة هي الفكرة الدينية.

1) الإنسان

يرى مالك بن نبي أن الفرد نتاج الحضارة إذ هو يدين لها بكل ما يملك من أفكار وأشياء[1] فالإنسان هو العنصر الأوّل في بناء الحضارة وتأسيسها لأنه الأكثر إبداعا وتحركا وتحديّا بينما بقية العناصر تمتاز بالركود والجمود لهذا يجب علينا "أن نصنع رجالا يمشون في التاريخ مستخدمين التراب والوقت والمواهب في بناء أهدافهم الكبرى"[2].

فالتغيير الاجتماعي لا يكون إلا من خلال العمل فيه نغير الفرد وصفاته البدائية ونخلق له بيئة جديدة ووضعا جديدا. وبه نخط مصير للأشياء في إطار اجتماعي[3].

وقد قسّمه إلى ثلاثة رجل المدينة ورجل الفطرة ومحترف الثقافة، فرجل المدينة هو الذي يحمل روح الهزيمة وهو دائما في منتصف الطريق أو منتصف الفكرة وبالتالي في منتصف التطور، فيطلق عليه رجل النصف، فلا يعرف الوصول إلى الهدف فلا يعد نقطة الانطلاق كرجل الفطرة أو نقطة النهاية كرجل الحضارة فيقدم نصف الجهد والاجتهاد ونصف الطريق[4].

1- مالك بن نبي: ميلاد مجتمع،ترجمة عبد الصبور شاهين دار الفكر –الجزائر،ص73.

2- مالك بن نبي: شروط النهضة، ص24.

3- فهمي جدعان:المرجع السابق، ص423.

4- بن إبراهيم الطيب:المرجع السابق، ص130.

والنوع الثاني رجل الفطرة أو رجل البادية وهو الذي يساهم في بناء الحضارة بعد تعديل أفكاره ليصبح إنسانا نافعا، وهنا يتفق ابن نبي مع ابن خلدون في أنّ البداوة هي نقطة انطلاق الحضارة[1].

أما القسم الأخير فنجد محترف الثقافة وهو الإنسان الأناني الذي يُسخّر كل شيء في مجتمعه لمصلحته، ويعمل على البقاء في أعلى الهرم، فيعتبره مرض ويجب استئصاله فهو أخطر على الأمّة من الجهل والفقر[2].فالإنسان دائما في صراع مع ذاته ومع بقية العناصر لغرض إخضاعها لرغباته وأهدافه ولكي ينتصر على غيره لابد أن ينتصر على نفسه وأفكاره.

2) التراب

لا ينظر إلى التراب من حيث خصائصه الطبيعية وإنما إلى قيمته الاجتماعية التي تستمد من قيمة مالكيه وقيمة أمّته وحضارته، فقيمة التراب تكمن في قيمة مالكيه ونوعية إنتاجه[3]، وهذا ما يظهر في البلدان المتحضّرة فمساحتها صغيرة عن بلدان أخرى وسكانها أكثر من سكان بلدان المساحات الواسعة، ومع ذلك فالأولى هي التي تطعم وتموّل تلك التي تفوقها مساحة وتقل عنها سكانا.

فالسر يكمن في كيفية استغلال التراب كعنصر فعّال في البناء الحضاري، أما المساحات الشّاسعة لا قيمة لها، فنظرة الإنسان إلى الحضارة هي التي تحدد مدى استفادته منه، فالتراب مصدر ثروة ونهوض وقد يكون مصدر خطر يهدد الإنسان[4].

1- بن براهيم الطيب : المرجع السابق الذكر،ص130.

2- المرجع نفسه: ص131.

3- آمنه تشكو: المرجع السابق، ص131.

4- المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

فالتراب في نظر مالك بن نبي مصدر ثروة حضارية فالبلدان لا تقاس بمساحتها ولا بعدد سكانها ولا موقعها بقدر ما تقاس بقيمتها الحضارية كما أن قيمة التراب جزء لا يتجزأ من قيمهما فإذا كان متحضرا كانت أرضهم تنتج فإن قيمتها ثمينة وحدودها محصنة أما إذا كان عاجزا كانت أرضه قفرا[1]ويستدل مالك بن نبي على أهمية استغلال الأرض والبشرية بما حدث للجزائر من عمليه التصحر ورأى في ذلك مأساة دامية[2]"إذ تموت الأرض الخضراء على أهلها وتتركهم بين الصحراء المقفرة.

وعليه فإن الشعب هو الذي ينتصر على نفسه وعلى الطبيعة، و يخضع التراب له يمهده لبناء حضارته.

3) الوقت

في نظر "مالك بن نبي" قيمة الوقت كقيمة التراب فحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة يكون الوقت غالي القيمة وحين تكون الأمة متخلفة يكون الوقت قليل الأهمية، ولهذا فالتربية في نظر "مالك بن نبي "هي الوسيلة الوحيدة التي تعلّم الناس قيمة الوقت وكيفية استغلاله كطاقة حيوية وأساسية فإذا استغل الوقت أحسن استغلال ارتفع الحصاد العقلي واليدوي والروحي وهذه هي الحضارة.

فالزمن عنصر مهم في دورة الحضارة فهو الإطار الذي تحدث فيه حركة الإنسان واستثماره للتراب، فالحضارة عملية ممتدة عبر الزمن تعتمد على التخطيط والاستمرارية، والتقدم الحضاري مرتبط باستخدام الوقت بشكل منتج، كما يجب علينا تعويض الوقت الضائع لتحقيق التقدم والازدهار.

1- بن إبراهيم الطيب:المرجع السابق، ص131.
2- مالك بن نبي: شروط النهضة، ص132

فقيمة الوقت أغلى من قيمة المال، فبعض الوقت يعطيك بعض المال ولكن المال كلّه لا يعطيك بعضا من الوقت.

4) الفكرة الدينية:

يرى مالك بن نبي أن للحضارة دورة خالدة تبدأ بنهضة متوسعة نامية الأوجه، ثم تهبط وتزول، فعند بداية الحضارة لا يكون ثمة إلا الإنسان والتراب والوقت ولا تبرز إلا بدخول عنصر أجنبي عن هذه العناصر المتمثل في العقيدة الدينية بمفهومها العام ليشمل المبدأ الأخلاقي فالمركب الديني يبثّ في هذه العناصر الراكدة الحياة فيخرج الإنسان من خانة الفطرة ويندفع بطاقة حيوية، ولهذا ضبطت الفكرة الدينية الغرائز وأخضعتها لنظام أخلاقي سام ودقيق لدى الفرد، ولنظام متماسك على درجة عالية من التوتر على مستوى الجماعة. [1]

فهنا تصمُت الغريزة والكل يخضع لقانون الروح الذي يولد النهضة والتقدم والحضارة، فالفكرة الدينية هي التي رافقت دائما تركيب الحضارة خلال التاريخ.

وهذا الأمر لا ينطبق على الحضارة الإسلامية أو التاريخ الإسلامي فقط، بل كل حضارة عرفتها البشرية إلا وكانت وراءها فكرة دينية، فقوّة التركيب والمزج لعناصر الحضارة خالدة منذ القدم في جوهر الدين، فهو يجعل الدين الإسلامي في مقابل الدين المسيحي والرجل المسلم مكانا لرجل الجرماني.

كما ينظر مالك بن نبي إلى العلاقة الروحية بين الله والإنسان بأنها هي التي تلد العلاقة الاجتماعية بين الإنسان وأخيه الإنسان، وكلما كانت العلاقة قوية كلما قلّت درجة الفراغ

1أحمد بن ناسي: المدخل الى فكر مالك بن نبي،دار النشر بن مرابط ، الجزائر ،الطبعة الأولى،2014،ص122 .

الاجتماعي، فالفكرة الدينية دائما هي التي تقوم بالتركيب الاجتماعي في شكل قيم أخلاقية وعادات وتقاليد ومبادئ تشريعية فالدين هو المركب لهذه القيم الاجتماعية.

والفكرة الدينية عند بن نبي مرتبطة بشروط يجب توافرها في المكان الذي وجدت به وإلا هجرته إلى مكان آخر لتبحث لها عن تلك الشروط.

ثالثا/المقصد من الحضارة

من الأفكار الأساسية التي ينبغي التركيز عليها في فكر مالك بن نبي هي ضرورة التغيير النفسي قبل كل شيء عملا **بقوله تعالى: "إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ"**[1]،وتغيير النفس في نظره لا يكون إلا بتغيير الفكرة وجعلها تتجاوز المألوف ،فتغيرها هو تغيير للتاريخ.

وتطرق إلى مشكلة الوعي الذاتي للإنسان مما يؤثر على الفهم هو تفسيره، فالتغيير الحقيقي لا يكون إلا من خلال تجديد الوعي فيتحرر الفكر من أساليب التفكير الخاطئة وتنسجم مع رؤية تساعدها على الانسجام مع ذاتها ومع مستجدات العالم المعاصر في الوقت ذاته.

فمن أبرز المشكلات التي يواجهها الوعي الإسلامي المعاصر على مستوى الفرد والجماعة نجد الانقطاع عن الذات فهذه المشكلة تجعل الفرد يفكر بطريقة معينة تجعله ينظر إلى واقعه نظرة محددة وموجهة فالمشكلة ليست في فقدان الأفكار وإنما في فقدان الطريقة الملائمة والأفكار اللازمة. ولذلك فإنّه يقسم الأفكار إلى أفكار ناجعة وأفكار قاتلة أو مميتة أو أفكار ميتة فغربلة الأفكار يجعلها ناجعة وفعالة فهي مهمة النقد الذاتي[2].

1- سورة الرعد الآية 11.

2- مالك بن نبي: في مهب المعركة، دار الفكر دمشق سوريا ط 01 ،1991 ص 146- 147.

فالسبيل إلى التغيير يكون من خلال التحديق و ينظر إليه من خلال أنه خلاص لا تحول سطحي فقط ولتغيير الواقع الاجتماعي والاقتصادي لابد من تغيير الوعي،والتخلف في نظره هو مشكلة الإنسان الذي علم طرق استعمال وسائلها لأولية (التراب– الزمن) أو أنه نسيم تعلمه من هذا الاستعمال.

كما أن بن نبي يولي اهتماما للإنسان فكرا وروحا واستعداده النفسي وقابليته للتغيير ،ولإصلاحه لابد من مشروع ثقافي،فربط مشكل الإنسان بمشكل الحضارة[1].

فالتغيير الحضاري في نظر ابن نبي هو تغيير في وعي الإنسان بالدرجة الأولى قبل التغيير في عالم الأشياء والوسائل المادية وهذا ما يسميه بالتغيير الحقيقي،كما يعطي"ابن نبي" أهمية للعوامل القيمية في صياغة وبناء الوعي الذاتي ومن ثم بناء ذات لها هوية متماسكة ومتصلة لا تعاني من قطيعة بين الداخل والخارج أو بين الشعور و الواقع أو بين الفكر و الفعل.

كما يرى أن المجتمع ليس مجرد مجموعة من الأفراد، بل هو عبارة عن بناء شبكة علاقات ،وهذا المجتمع يصنعه التاريخ الذي يسير به نحو التقدم وهو ما يطلق عليه التغيير الحضاري أي التغيير من أجل غاية تاريخية والانتقال بالحياة من طبيعتها الغريزية إلى أفق أخلاقي وجمال إنساني لا يكون إلا في إطار رؤية حضارية متأصلة ومتجذرة في الشعور[2]والوعي الذاتي للجماعة الإنسانية التي تجمع بينها قيم مشتركة فتحوّل أفرادها إلى جسم واحد يعمل بشكل منتظم ومتناسق من أجل غاية مشتركة[3].

1- مالك بن نبي: تأملات، دار الفكر_ الجزائر ط 5 عام 1991 ص 26

2- بدران بن مسعود الحسين: القاهرة العربية في الوعي الحضاري نموذج مالك بن نبي، كتاب الأمة العدد 73 ط 1 عام 1999 ص 51.

3- مالك بن نبي، تأملات ص 26- 27.

والثقافة في نظره هي التي تحوّل الاجتماع الإنساني من مرحلته الطبيعية البسيطة إلى مرحلته الحضارية والتاريخية وهي أساس التحوّل من الفكر إلى العمل وهي التي تربط بين القول والفعل فهي باب الدخول إلى المشروع الحضاري وبها نواجه التحديات.

كما ربط بين الفكرة الدينية و ميلاد المجتمع فهي التي تحرك التاريخ وتؤسس للمجتمع والحضارة فالعلاقة الاجتماعية أساسها العلاقة الروحية بين العبد وخالقه هذه العلاقة تكون سببا فيربط الإنسان بأخيه وهو ما يعبر عنه بالقيمة الأخلاقية[1].

فتشكيل الوعي الذاتي للفرد والجماعة لا يكون إلا من خلال اجتماع مجموعة من العوامل السيكولوجية والاجتماعية والدينية والغاية منها هي الحضارة.

وعليه فبدون تغيير عميق في وعي الإنسان وإصلاح ذاتي لاستعداداته النفسية تبقى مشكلات التخلف والانحطاط وما يتولد عنها من ضعف قائمة.

1- نور الدين مسعودان، مالك بن نبي حياة وآثار شهادات ومواقف، دار النون للطباعة والنشر د ط د ت ص 38- 39.

الفصل الأوّل: البعد الثّقافي في رواية لبّيك حجّ الفقراء

المبحث الأوّل: تجليات الموروث الثّقافي في الرّواية

المبحث الثّاني: البعد الدّيني في الرّواية

المبحث الثّالث: الرّؤية الفلسفيّة والفكريّة في الرّواية

الفصل الأوّل: البعد الثّقافي في رواية لبّيك حجّ الفقراء

المبحث الأول: تجليات الموروث الثقافي في الرواية:

تتجلى مظاهر الموروث الثقافي في رواية مالك بن نبي من خلال عدة مستويات،تعكس حضور الذاكرة الجماعية الإسلامية والتقاليد الاجتماعية والرموز الدينية والثقافية في بنية السرد ،حيث وظف الكاتب هذا الموروث ضمن بناء أدبي ذو طابع رمزي وفلسفي دعا من خلاله القارئ إلى مراجعة علاقته بموروثه ، وقبل الخوض فيا جسدته الرواية من مواريث ثقافية ،وجب تحديد مفهوم الثقافة عند بن نبي ، ليتسنى تقدير مدى حرصه على فكرة الثقافة حتى عند ميله للإبداع الأدبي

وعليه سنلقي الضوء في هذا المبحث على مفهوم الثقافة (أولا) ثم تطرقنا إلى الهوية الثقافية في الرواية (ثانيا)

تتجلى مظاهر الموروث الثقافي في رواية لبيك حج الفقراء لمالك بن نبي في عدّة مستويات، تعكس حضور الذاكرة الجماعية الإسلامية والتقاليد الاجتماعية والرموز الدينية والثقافية في بنية السرد،حيث وظف الكاتب هذا الموروث ضمن بناء أدبي ذي طابع رمزي وفلسفي دعا من خلاله القارئ إلى مراجعة علاقته بموروثه، وقبل الخوض فيما جسدته الرواية من مواريث ثقافية، وجب تحديد مفهوم الثقافة عند بن نبي، ليتسنى تقدير مدى حرصه على فكرة الثقافة حتى عند ميله للإبداع الأدبي.

أولا: مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي:

لم يقتصر استعمار فرنسا لبلدنا الجزائر على نهبه لثرواتها وخيراتها،وإنما امتدّ إلى الإنسان الجزائري من الداخل وطمس هويته،وذلك من خلال طمس المعالم العربية الإسلامية للجزائر فقد حاول المستعمر" بكل ما أوتي من قوة وحقد أن يقتلع الجزائر من جذورها التاريخية والحضارية وأن يجعلها امتدادا طبيعيا لفرنسا ليس جغرافيا فقط، بل تاريخيا وثقافيا واجتماعيا

ودينيا وحضاريا وجنّد لذلك كل جيوشه الثّلاثة العسكرية والتبشيرية و الاستشراقية، وقد نجد في جيش واحد من يجيد الأدوار الثلاثة كلّها"[1]

وهذا ما جعل أعلام الفكر في الجزائر يقفون في وجه هذا المشروع التغريبي، ومن بينهم مالك بن نبي الذي تصدى لمشاريع الاحتلال الثقافية والفكرية، فعالج مشكله الثقافة باعتبارها المشكّلة للفرد ووعيه، فدرسها في مؤلفاته كمؤلف مشكله الثقافة ومؤلف شروط النهضة، ومؤلف ميلاد مجتمع ومؤلف تأملات ومؤلف مشكله الأفكار في العالم الإسلامي، حيث اعتبرها نظرية سلوك أكثر من كونها نظرية معرفة، فعرفها بأنها:" مجموعة من الصفات الخلقية والقيّم الاجتماعية ،التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لاشعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه"[2]

انطلاقا من هذا التعريف نستخلص مجموعة من المقوّمات التي ترتكز عليها الثّقافة عند بن نبي وهي:

1) الأخلاق:

لا أحد ينكر دور الأخلاق الفاضلة في بناء المجتمع،وذلك من خلال ربط الأفراد بعضهم ببعض ، فالخلق النبيل هو الذي يحدث الألفة والتّواد والتّراحم بين الناس ، وقد أشار القرآن الكريم إلى الانقلاب الذي حدث للعرب بفعل الأخلاق التي غرسها الله بوحيه فيهم حيث **يقول تعالى:"وألَّفَ بَينَ قلوبِهم لَو أَنفَقتَ مَا فِي الأَرضِ جَمِيعا مَا أَلَّفتَ بَينَ قلوبِهِم ولَكنَّ اللهَ أَلَّفَ بَينهم إنَّهُ عَزِيز حَكِيم"**[3] سوره الأنفال، وعليه فإن للدّين في نظر مالك بن نبي دورا كبيرا، إذ هو الأساس في بناء الحضارة، وقد أكد هذا في قوله : "وهكذا

1-الطيب بن براهيم:المرجع السابق، ص29.

2- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصابور شاهين، دارا لفكر ، دمشق،سورية، ط4، 2000، ص74.

3- سورة الأنفال: الآية 63.

يظهر لنا من وجهه نظر علم النفس أن العنصر الديني يتدخل في تكوين الطاقة النفسية الأساسية لدى الفرد"[1].

فالدين يعطي قوة للإنسان وبه يتغلب على المصاعب، ويتحول إيمانه إلى عاطفة قوية جارفة، فهو بمثابة الطاقة التي تجعل المجتمع يتمكن من التطور ومواصلة السّير من مكان إلى مكان، فإذا أراد المجتمع الإسلامي أن يبقى على وجه الخريطة فعليه أن ينقذ نفسه بدينه، لأن الدين هو الوسيلة الوحيدة لديه ليسير إلى مأمنه، بل المأمن بالنسبة إلى البشرية جمعاء، وعليه فالمبدأ الأخلاقي شرط هام من شروط فعالية الفرد والمجتمع ودوره يكمن في كونه "يقوم ببناء عالم الأشخاص الذي لا يتصور بدونه عالم الأشياء ولا عالم المفاهيم ومن هنا كانت أهميته كبرى في تحديد الثقافة في مجتمع ما"[2] .

كما أكد مالك بن نبي على أن الأخلاق هي الأساس الذي يبنى عليه المجتمع والعلوم والثقافة كلّها، فبدون أخلاق لا يمكن للناس العيش في شكل منظم، ولا يمكنهم بناء حضارة أو تطوير علومهم وفكرهم.

2) الجمال:

للجمال في نظر "بن نبي" أهمية اجتماعية، فهو مصدر الأفكار التي تصدر في شكل أعمال الفرد في المجتمع لأنه"لا يمكن لصوره القبيحة أن توحي بالخيال الجميل فإن لمنظرها القبيح في النفس خيالا أقبح والمجتمع الذي ينطوي على صور قبيحة لابد أن يظهر أثر هذه الصورة في أفكاره وأعماله ومساعيه" "[3] و يعرفه "بأنه كل ما يتذوقه الإنسان في حياته اليومية من موسيقى وما يرتديه من ألبسة وما يمارسه من عادات وتقاليد ويشمل أيضا طريقة تنظيم البيوت وأساليب الضحك ومسح الأحذية وتمشيط الأولاد وتطهير البدن وتزيين المحيط

1- مالك بن نبي:ميلاد مجتمع، ص74.

2-المرجع نفسه، ص61.

3 مالك بن نبي: شروط النهضة، ص91.

وتنظيف أرجلنا "[1] وأكد بن نبي على وجود صله بين المبدأ الأخلاقي وذوق الجمال من خلال وجود نموذجين في المجتمع نموذج يقوم فيه النشاط أساسا على الذوق الجمالي ونموذجا يقوم فيه النشاط على المبادئ الأخلاقية فالجمال عنده وجه الوطن في العالم والحفاظ عليها حفاظ على كرامتنا.

3) المنطق العملي:

يعني به مالك بن نبي كيفية ارتباط العمل بوسائله ومعانيه ويرى أننا" أحوج ما نكون إلى هذا المنطق العملي في حياتنا لأن العقل المجرد مُتوفر في بلادنا غير أن العقل التطبيقي الذي يتكون في جوهره من الإرادة والانتباه فشيء يكاد يكون معدوم فمركب النقص عند الإنسان المسلم لا يتجلى في منطق الفكرة ولكن في منطق العمل والحركة وهو لا يفكر ليعمل بل يقول كلاما مجردا وإذا قال لا يعمل"[2].

وعليه فإن بن نبي يرفض كل الأعمال المنفصلة عن الواقع العملي ويؤكد على أن الفكر لابد أن يكون مرتبطا بالعمل لأن نجاح الأفكار وصحّتها مرتبط بما تحقّقه من نتائج واثار عملية على أرض الواقع.

4) التقنية:

وهو ما يصطلح عليه بالصّناعة ومعناها كل الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم فهي تدخل في مفهومها، فبها يكسب الفرد قوت يومه ويبني مجده في حين أن المجتمع يحافظ بها على كيانه واستقرار نموه ، ويرى ابن نبي ضرورة إنشاء مجلس للتوجيه الفني ليحل المشكلة الخطيرة للتربية المهنية نظريا وعمليا تبعا لحاجات البلاد، هذا الحل منطقي هو الذي يتيح لرجل المدينة أن يلجأ إلى الحضارة، ويرى أن الحل هو تكوين الفرد وليس الاعتماد على

1 - مالك بن نبي: شروط النهضة، ص95.
2- المرجع نفسه :ص 93.

العلوم التي نتلقاها في المدارس[1]. وعليه فإن هذا المبدأ أو الشرط يعد من الشروط الفاعلية والبناء الثقافي منذ قيام الإنسانية بما يسمى تقسيم العمل وهذا ما ذهب إليه ابن خلدون.

ثانيا: الهوية الثقافية في الرواية:

تمثل الهوية الثقافية جزءا مهما في الحياة الثقافية والاجتماعية للشعوب ،حيث تعرّف الهوية بأنها "الخصوصية التي تميز الفرد من غيره أو جماعة من غيرها وتمثل انعكاسا لواقع ما ولتصورات معينه "[2] فالهوية ترتبط بالذات وتعبر عن إحساس الشخص بذاته كما يمكن القول بأن الحرية تتشكل وتتطور من خلال ممارسة الفرد لحريته، فكلاهما يتفاعلان وعليه فالهوية على المستوى الشخصي لا تعني الذوبان في ثقافة الجماعة وإنما القدرة على اتخاذ قرارات مستقلة تتماشى مع قيّمه ومعتقداته حتى ولو كانت تختلف عن توجهات الجماعة فالعلاقة بين ثقافة الفرد والجماعة متوازنة حيث تسمح للفرد بالتعبير عن نفسه بشكل كامل ويصبح جزءا مهمّا وفاعلا في المجتمع.

أما الهويّة الثّقافية فهي ضرورة لازمة واستجابة طبيعية لمطالب شخصية وليست خيارا يعود للشخص قبوله أو رفضه وفق مصالحه وأهوائه ومزاجه وجاءت الحاجة إليها كردة فعل لتحدّيات لم تكن موجودة في السابق في هذا السياق يقول عبد الله الغذامي هي "تحدّيات تجمع الاقتصادي مع السياسي مع الثّقافي وتعيد على الفرد صغيرا أم كبيرا أسئلة تتعلق بموقعه الكوني وموقع ثقافته حتى صار يدافع عن تاريخه مثل ما يدافع عن نفسه ويدافع عن ثقافته وعن وطنه"[3] وهذا التعريف يعكس أهمية الهوية الثقافية والتاريخية للإنسان.

إن دراستنا لرواية لبيك حج الفقراء من منظور ثقافي أوصلتنا إلى أنها تمثل قطعه أدبية تبرز لنا معالم الهوية الجزائرية فنجد أن عنابة احتفظت بهويتها الجزائرية الإسلامية ولو بالشيء القليل

1- مالك بن نبي:شروط النهضة، ص97.

2- عبد المجيد جاعة: حضور الهوية الثقافية في صراع الأنا والآخر في رواية "لبيك حج الفقراء" لمالك بن نبي، مجلة الآفاق العلمية، العدد 2، 2024، ص404.

3- عبد اللّه الغذامي: القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، لبنان، ط2، 2009، ص54.

فكانت:"تعيش في عرس وكانت تستقبل الحجيج الوافدين إليها بالقطارات...فينتشرون في المدينة للتزود بالزاد الذي يكفيهم للرحلة أو للصلاة في المسجد"[1]كما يمثل الشيخ محمد صاحب اللحية البيضاء والحامل للسبحة أصالة مدينه عنابة على الرغم من محاولة المستعمر طمس معالم الهوية العربية الإسلامية للجزائريين.

وتطرق مالك بن نبي إلى حال إبراهيم الذي يعبر عن حال كل الجزائريين الشباب المتأثرين بالحضارة الأوربية فهو يمثل الجيل الذي احتك بالمجتمعات الأوربية وعايشها وتورط في ثقافتها وأساليبها وهذا ما تركه في حيره من أمره "فكان يريد أن يجد تفسيرا لهذا الحلم فلا يوجد مسلم لا يؤمن بتأويل عملي لرؤاه...لقد كان إبراهيم على سوء تعرجات حياته يحافظ على الروح الصوفية التي ورثها عن السلالة الصالحة لأسلافه"[2] وهذا المشهد يعكس التوتر الداخلي الذي يعيشه إبراهيم على ما تربى عليه من قيم إسلامية وما تأثر به من ثقافة أوربية هذا الصراع ناتج عن الفراغ الروحي الذي يعانيه المرء مما يجعله يبتعد ويتغرب عن عقيدته ومقوماته الأخلاقية إلا أن إبراهيم استدرك الأمر وأعلن عن توبته.

يظهر تمسك إبراهيم بهويته الجزائرية تمسكه بلباسه التقليدي المتمثل في البرنوص والعمامة عندما راح"يفكر في كيفيه لباسه لو استقر بالمدينة تساءل إن كان سيواصل ارتداء الكندورة الجزائرية والعمامة أو يستبدلهما بالزي الحجازي"[3] هذا الأخير الذي كان يعجب زهرته ثم استدرك الغرابة التي طبعت تفكيره تجاه زهرة التي لم تعد زوجته فعلاقة إبراهيم باللباس تدل على ارتباطه بهويته الجزائرية الإسلامية.

كما صوّر لنا مالك بن نبي رحله الحج وما تحمله من دلالات ثقافية واجتماعية وتظهر في تجمع أهل الحجاج وتوديعهم لهم وما يصاحب ذلك من أدعيه وزغاريد حيث"كانت هناك رحلة

1- مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء،ص33.
2- المرجع نفسه،ص109.
3- المرجع نفسه ،ص73.

غير اعتيادية كان هناك جمع غفير من أهل الحجاج وأصحابهم وحتى الفضوليين يملؤون مرفأ الركوب...حيث كانت النداءات الأخوية والأماني تنبعث من هنا وهناك وتتقاطع مع بعضها البعض"[1]، ثم"ابتسم إبراهيم لصاحبيه وهما يشيران إلى العبّارة التي بدأت تسبح أمام الجمهور...على أصواتهم بالصراخ فليرجعكم الله إلينا سالمين غانمين إن شاء الله ادعوا لنا"[2].

ويجسد لنا هذا المشهد البعد الروحي للحج وفي موضع آخر يذكر مالك بن نبي مدى تأثير كلمة الحاج في النفوس وذلك عند توجهه عند المنتخب لاستكمال الإجراءات الخاصة بالحج وتناولت الرواية الهوية الثقافية من خلال ما يوضع من أكل على المائدة والحلويات الشعبية التي تصنعها الأيادي الجزائرية من البقلاوة والمقروط والرفيس"فقد كانت الميدة تلك الطاولة ذات الأرجل القصيرة الخاصة بمسلمي شمال إفريقيا قد نصبت وأعدت"[3]

ويلاحظ من هذا القول أن اجتماع العائلة الجزائرية لم يكن على الطريقة الأوربية وإنما على الطريقة الإسلامية أما فيما يخص الحلويات فقد كانت بقلاوة خاصة بالأغنياء والمقروض لقاطني المدينة والريف أما الرفيس فللفقير هذا الوصف يدل على تمسك المجتمع الجزائري بهويته ومحافظته على دينه وتراثه على الرغم من كل المحاولات التي انتهجها المستعمر لطمس الهوية ومحو كل معالمها الدينية والعربية.

أما اللغة في الرواية والتي تعد ظاهره خطابية تواصلية واجتماعية فقد اعتمد مالك بن نبي فيها على حقل اللغة المناسب لكل مقام، ويظهر ذلك في حديث إبراهيم مع الحجاج وحديثه مع الفتى هادي وفي معاملته لزوجته زهرة، وفي حديثه بعد توبته وعزمه على أداء فريضة الحج وفي الحوار الذي جرى بين ربان السفينة وبحار عندما قال أحدهم:" إن من القسوة ضد هذا الرجل

1- مالك بن نبي :لبيك حج الفقراء، ص77.
2- المرجع نفسه: ص92.
3-المرجع نفسه،ص69.

المسكين لأنه لم يستوف جميع إجراءات الحج"[1]، فكانت إجابة الضابط"أجل إنه أمر قاس ولكن هذا هو الصراع الأزلي بين ما هو دنيوي وما هو روحي"[2]، فكانت هذه الإجابة نابعة من فلسفته ومناسبة لطريقة تفكيره، وتظهر اللغة في تدخل المثقف الجزائري في الحوار بين الربان ومجموع الحجيج فأراد مالك بن نبي من خلال هذا التدخل أن يكون الدور البارز للمثقف في الرد على الشبهات خاصة وأنه يجيد اللغتين ويخاطب الناس بما تفهم حيث جعل البحار يرتبك عندما بيّن له أن"ليس محمد من قرر منع أكل لحم الخنزير وشرب الخمر بل إن الله هو الذي حرمهما على المسلمين"[3]، وبدلا من أن يستخدم المثقف كلمه الله استخدم كلمه الرّب فهذا الحوار يعبر عن الجو الودي بين المسلمين ومخالفه في العقيدة.

والملاحظ أن هناك انسجاما بين هويّة النّص ووحدته فالخطاب الذي استخدمه بن نبي في روايته لا يختص بفئة محدّدة من الناس أو بفترة معينة وإنما هو خطاب للحقيقة والتواصل هو تواصل بين البشر مع تعاليمهم السماوية كما أننا نلاحظ أن هناك تناسبا بين المفهوم والمدرك ففي عبارة"غسل عظامهن"[4] دلالة على أن الحج مطهّر من الذنوب وهي الاستعارات التي استخدمها ،ونجد أيضا قوله: "وكان يريد أن يطلق العنان لروحه التي كانت تتمسك بدرب حلمه"[5] وأيضا قوله:"انقطع مشهد الذكريات من ذهنه وكان حاجبا تسقط فغطى ذلك المشهد "والأمثلة عديدة حاول من خلالها مالك بن نبي إيصال أفكاره إلى القارئ.

1- مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء ص90.
2- ا المرجع نفسه : الصفحة نفسها.
3- المرجع نفسه: ص105.
4- المرجع نفسه: ص29.
5- المرجع نفسه: ص40.

المبحث الثاني: البعد الديني في الرواية:

يعدّ بن نبي صاحب النّزعات الرّوحيّة القرآنيّة الأخلاقيّة الإصلاحيّة الإنسانيّة، فهو صاحب النّزعة المحافظة، حيث يقدّم تعهّدا إيديولوجيّا لوطنه وأمّته من أجل التّغيير والنّهوض وبناء الحضارة. وبالرجوع إلى الرّواية الّتي بين أيدينا نجده يقدّم للقارئ أجواء الحجّ في القرآن الكريم من خلال رواية عنوانها لبيك وهي التّلبيّة المعروفة للمسلمين يوم الحجّ "لبّيك اللّهم لبّيك"[1].

فالنّص تتحكّم فيه أفكار دينيّه نظرا لطبيعة النّص، فهو يسرد لنا قصّة بطل قرّر التّوبة من خلال العزم على أداء فريضة الحجّ الإسلاميّة،كما أنّ عباراته سواء أكانت الظّاهرة أم المضمرة مصدرها الدّين الإسلاميّ، أي القرآن الكريم والحديث النّبويّ الشّريف والأدعيّة والابتهالات والأذكار فهذا إبراهيم يرشد هادي إلى أن يسأل عن دينه فيقول: "اسأل عن دينك حتّى ولو قيل عنك أنّك مجنون"[2].

كما أنّ الكاتب طرح مجموعة من النّقاشات حول بعض القضايا الفقهيّة المتعلّقة بفريضة الحجّ واختلاف المذاهب والآراء الفكريّة ومن ذلك "نظر إليه الشّيخ باستغراب ثم أخذ نفسه الذي قطعه ربو مزمن قائلا يا ولدي كان ينبغي على والديك بما أنّك أنت أيضا حاجّ أن يزوداك بالمعلومات الكافيّة أخذ مرة أخرى نفسه بحشرجة وإضافة كما ترى فأنا الآن محرم...كان "هادي" قد سمع هذه الكلمة من قبل فقاطع الشيخ قائلا آه أجل الإحرام ..."[3]

والعمل نابع من أفكار مالك بن نبي وفلسفته القائمة على ضرورة التّغيير،وهذا الأمر موجه بالخصوص إلى الأمّة الإسلاميّة العربيّة،ومن الخطابات الّتي استخدمها في روايته رحلة الشتاء والصّيف فقد يحجّ الأب شتاء والابن صيفا أو العكس ،كما أنّ النّصّ متداخل في

1- مالك بن نبي :لبيك حج الفقراء، ص17.
2- المرجع نفسه: ص137.
3- المرجع نفسه: ص148-149.

تناص مع القرآن الكريم في سوره قريش وكذلك عبارة "واد غير ذي زرع"[1] مع سوره الحجّ ويظهر الموروث الديني من خلال:

أولا: دلالة الشخصيات:

إنّ اختيار الكاتب لاسم إبراهيم كبطل لروايته فيه دلالة عميقة، فإبراهيم عليه السلام هو الأب الروحي الأول للإسلام وباني الكعبة ولهذا جعل بطل روايته رمزا للمسلم الذي يسعى إلى التغيير النابع من الذات انطلاقا من قوله تعالى: **"إنّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"[2] سوره الرعد الاية 11**، وصور الكاتب شخصيه إبراهيم على أنها شخصيه سابقه للخيرات روحها بيضاء وهي نموذج للنفس البشرية المثالية.

ولم يقتصر التغيير على إبراهيم وإنما أيضا الشباب من خلال اختيار الكاتب لشخصية هادي الذي يعد رمز الأجيال والأطفال الذين يعانون من الوضع المزري لعائلاتهم، فهادي بسبب ذلك وجد نفسه ماسح أحذية، والشّباب عند مالك بن نبي هم رأس مال الأمّة والأجيال القادمة فإدراك النهضة يكون من خلالهم واسم "هادي" مشتق من الهداية وهو رمز لجلب السّعد، من ثمَّ يمكن القول إن الشخصيتين كلتيهما نموذج للتغيير والتحول من الغرق والاختناق في عالم الأشياء والأشخاص إلى الغوص في عالم الأفكار والروحانيات.

والعم محمّد رمز للأصالة المتجذرة في الأمّة العربية الإسلامية وهو يمثل الرّجل المصلح الّذي يسعى إلى تغيير حال المجتمع من خلال النّصح والتّوجيه واستخدام الحكمة فهو بمثابة الأب لإبراهيم.

وأمّا العمّة فاطمة وهي زوجة العمّ محمّد فهي بمثابة الأمّ لإبراهيم ففاطمة اسم عربي يعود إلى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فمثّلت تلك الشّخصية الحنونة الأمينة

1- مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء،ص27.

2 سورة الرعد: الآية 11.

أمّا لزوجة إبراهيم وهي زهرة فبداية حضورها في الرواية لحظة استرجاع إبراهيم لذكرياته "استرجع الآن إبراهيم مشهدا واحدا ذلكم هو المشهد الأخير من حياته الزوجيّة"[1] فزهرة مثال للمرأة الصالحة فهي زهره الحياة الدنيا فهي طيبه وفية مطيعة لزوجها فعلى الرغم من طلاقها منه ظلت تدعو له بالهداية والتوبة فالمرأة في فكر "مالك بن نبيّ" لها دور في التغيير لهذا يجب معاشرتها بمعروف ولا يجب احتقارها وإهانتها.

ثانيا: دلالة الأشياء:

ومن الأشياء التي استخدمها مالك بن نبي في روايته نجد

-السّبحة: وتعود لأم إبراهيم التي احتفظت بها زهرة وهذا دليل على وفاء زهرته لوالدي إبراهيم حيث ظهرت مع ظهور زهره المفاجئ ولما علمت بحج إبراهيم أرسلتها له مع العمة فاطمة فهي تدور بين ثلاث شخصيات الأم المتوفيّة والزوجة زهرة والعمة فاطمة.

-السفينة: ترمز من قريب أو من بعيد إلى التغيير واعتبرها إبراهيم منقذة من العالم المتوحش وترمز إلى سفينة نوح عليه السلام من ركبها نجا وابتعد عن العالم المظلم وهذا من خلال قوله:"بدا الصوت وكأنه يخرج من أحد نوافذ السفينة الموجودة أسفل السطح مكان استماع الحجاج كان الصوت يرتل آيات من سوره نوح"[2].

ثالثا: دلالة المكان:

الرواية تضعنا في أجواء العيش في إحدى المدن الجزائرية مدينة عنابة إبان الحقبة الاستعمارية وهي مكان تجمع حجاج الشرق وركوبهم السفينة باتجاه حلق الوادي تونس وما صاحب هذا الحدث من مشاعر خاصة تلك التي تنتاب المودعين من الأهل والأقارب،و أول ما يلاحظ على المكان هو أن الرواية صوّرت مسار الرحلة من عنابة إلى تونس إلى الأراضي

1 مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء، ص 46.

2- المرجع نفسه ،ص134.

المصرية وأخيرا البحر الأحمر ،حيث ترسو السفينة بميناء جدة ،فكان إبراهيم وهو بطل الرواية ضمن هذه الرحلة لأداء فريضة الحج التي تحمل معاني ودلالات عديدة منها:

-التطهير النفسي للبطل إبراهيم

-حضور مؤتمر المسلمين الأوّل فدلالة الحجّ في الرّواية حدث يدل على التّغيير العميق في شخصية إبراهيم الذي أراد الاستقرار في المدينة وهنا تتقاطع شخصيّة إبراهيم مع شخصية كاتب الرواية مالك بن نبي الذي عبّر في مذكراته عن رغبته في السفر إلى الحجاز والاستقرار هناك حيث يقول: "سنذهب إلى الطائف إن شاء الله ونستقر هناك"[1]، هذا الحلم اصطدم برفض من السلطات المصرية لكنّه تحقّق جزء منه في خمسينات القرن الماضي عند تأديته لفريضة الحجّ ثم عودته إلى بيت الله الحرام في الستّينات وبداية السّبعينات.

أما بطل الرواية فعند وصوله مكّة وحمله لقب الحاج جعله يختار لنفسه عملا مناسبا له في المدينة وهو بيع القهوة للحجّاج وعند استقراره طالب زهرة بأن تلتحق به على أن تكون الرّحلة على حسابه.

رابعا: دلالة الزمن:

الزّمن الذي اختاره للرّحلة دلالته عميقة فبداية شهر أبريل هو زمن التّغيير والنّضج والانفتاح والازدهار والرائحة الطيّبة والجو المعتدل حيث يقول:"ففي هذا العام وافق موسم الحجّ شهر أبريل شهر البساتين المزهرة والنّسيم العليل الذي ينثر على الأرض نوريات الورود وزهور الشّجر البرتقالي فيغمر السّهل العنابي بعبقات بلسميّة"[2]، وهذا الوصف ينسجم مع حال إبراهيم الذي قرّر تغيير حالته السّوداء وجعلها طيبه نقيه فواحة.

1- مالك بن نبي: مذكرات شاهد للقرن العشرين، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2، 1984، ص297.

2- مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء،ص28.

المبحث الثالث :الرؤية الفلسفية والفكرية في الرواية:

يعد هذا العمل الروائي تأسيسا للغة جديدة لم نعهد مالك بن نبي يتحدث بها حيث يحمل في طياته أفكارا يحاول الكاتب تمريرها[1]، فيشرح لنا حال المجتمع الذي عاش ويلات الاستعمار والتخلف كما رسمت لنا الرواية عمق الروح الجزائرية وشخصيتها المنتمية إلى تراث الثقافة الإسلامية وحضارتها فمن خلال مكة والكعبة أراد مالك بن نبي أن ينطلق في مشروعه المتمثل في بناء جديد للحضارة الإسلامية[2].

وعليه سندرس في هذه في هذا العنصر إسقاط الرواية على الجانب الفكري لمالك بن نبي (أولا)،وفلسفة التغيير في الرواية (ثانيا)، والتطرق إلى رمزية الحج (ثالثا).

أولا: إسقاط الرواية على الجانب الفكري لمالك بن نبي:

يشكل البطلان "إبراهيم "وهادي"فكرة القابلية للاستعمار فإبراهيم يمثل تلك الصورة للجيل الذي تأثر بالأفكار الغربية بينما "هادي" فهو ذلك الطفل الذي فقد حنان الأسرة وكان"يكسب عيشه مثلهم من مسح الأحذية أو العمل عتّالا"[3] وهي مهنة تدل على الإهانة والذل، وكلاهما عملا العمل نفسه، والعامل المشترك بينهما اللون الأسود الذي يدل على ضبابية المشهد والمستقبل بالنسبة للمجتمع الجزائري وهو تحت وطأة الاستعمار.

والملاحظ في الرواية أن مالك بن نبي لم يعترض على الاستعمار أو الغرب من الناحية التكنولوجية،ويظهر ذلك في استخدامه للسّفينة كوسيلة حج يقودها ربان فرنسي فقد ركز على الحالة النفسية والفكرية للبطلين بالدرجة الأولى.

1- أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي -تطوره وقضاياه- ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط3، 2017، ص105.

2- مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء،: ص11 .

3 المرجع نفسه :ص 128.

وتظهر الفاعلية في الرواية من خلال التغيير الذي طرأ على حال "إبراهيم" وقيامه بإجراءات الحج في يوم واحد كما استطاع تغيير الطفل "هادي" وتعليمه أمور الدين الصحيح "فعندما ردّد الطفل التكبير بوقار راوده انطباع وكأنه ينجز أول شيء جدي في حياته"[1] كما غيّر وضعه في السفينة من الأسر إلى خدمة الحجيج حيث خاطب العامل برقة والبسمة تعلو وجهه:"يا سيدي هذا الطفل مسكين يريد فقط أن يحجّ ليس له أبوان يدفعان عنه المستحقات ولكن إن أردت سندفع بدلا عنه...أنا سأفعل ذلك"[2]. من هنا تبدأ العلاقة بين "إبراهيم" والطفل "هادي".

ونلمس في الرواية الارتباط بالجماعة التي رفضت أخلاقه وعربدته،ثم وقفت إلى جانبه عند إعلانه توبته واستعادته لانتمائه الديني والحضاري وكان ذلك عن طريق الحلم والذي سعى إبراهيم إلى تحقيقه بعد معاناة.

كما يظهر ارتباط وثيق بين شعوب المغرب العربي ويمثل هذه الشعوب الحجيج أهل السفينة فلا نجد اختلافا بينهم حيث "نشأت بين الحجاج روح الجماعة التي زادتهم ترابطا أعلنوه في عبارة (الحجاج المغاربة)"[3]، وهذا يدل على وحدتهم،ثم يظهر لنا صوت ذلك المفكر المثقف ليرد على الشبهات التي أراد ربان السفينة زرعها بين الحجيج والطعن من خلالها في القضايا الدينية من خلال الحوار الذي دار بين المثقف والذي لم يفهمه إبراهيم فقال:" لم أفهم جيدا ما دار بينهما ولكني واثق أن الحاج قد دافع عن الإسلام بحق إنه يتكلم الفرنسية بطلاقة ".[4]

1 مالك بن نبي :لبيك حج الفقراء،ص121.
2 المرجع نفسه، ص 96.
3 المرجع نفسه :ص 133.
4 المرجع نفسه :ص 109.

لقد استطاع مالك بن نبي تصوير الحياة الإسلامية تصويرا دقيقا، يعكس الواقع الحقيقي الذي كان عليه الفرد الجزائري، فتمكن بذلك من تصوير فشل المستعمر فيما كان يرمي إليه، ولعل استقرار "إبراهيم" بالمدينة المنورة هو عودة إلى الأصل فالخروج من التخلف في نظر بن نبي هو العودة إلى الحضن الحضاري الصحيح ألا وهو الأمة الإسلامية.

ثانيا:فلسفه التغيير في الرواية

تعد رواية لبيك حج الفقراء من أولى الأعمال الأدبية في النثر الجزائري التي تحمل نضجا فكريا وفلسفيا وإبداعا فنيا،وقد جاءت بعد صدور كتاب "الظاهرة القرآنية" 1946 وذكر لنا "مالك" أن القصة واقعية تدور أحداثها بين شخصيتين بارزتين محوريتين شخصية الفحام وشخصية الطفل اللّذين عاشا في مدينة عنابة (البونة)[1]. أما الجانب الخيالي الوحيد فيتمثل في الصلة التي وضعها بين الأشخاص في الزمان والمكان.

والملاحظ في تجربة مالك بن نبي أنّه راح يشرح للقارئ كيفية الجمع بين عناصر هذه الرواية والخطة التي اعتمدها حيث قال:"وإذا كانت هذه التفاصيل المادية معروفة لدي بمنتهى الإتقان فليس بالمثل فيما يتعلق بمجراه العاطفي والروحي"[2].

فبين سكير يعبّر عن وضع الجزائر الأسود والحلم أداة التغيير قرر إبراهيم تغيير حياته ليتخلص من العبودية والفحم والثقافة الدخيلة (الخمر) ويقرر ركوب التاريخ (الباخرة) للعودة إلى الأصول(الحج) وهذا القرار يعبر عن ثورة على النفس والمحيط ورفض الواقع المرير ومعاناة مع السّكر في هذه اللحظة تذكر براءة وجه زوجته التي طلقها جراء انحرافه وهو يختلط بوجه

1 ينظر :مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء، ص 24

2 المرجع نفسه :ص 25.

أمّه المشرق حيث:"شكلا رمزا واحدا لطريق مضيء فتح أمامه فجأة فأحسّ بأنه قد نفذ بجلده من إمبراطورية الظلام[1] "

فصعود إبراهيم الباخرة جعله يشعر بأنه امتزج مع مجتمع جديد وفي استقراره بالمدينة دلالة على تحقيق حلمه في تغيير نفسه وتطهيرها ويعبر عن ذلك في رسالة إلى زوجته من خلال قوله: "وأحسّ وكأنّي إنسان جديد وأرى من حولي عالما جديدا أريد أن أعيش فيه إن شاء الله"[2] ثم قال: "لقد تركت الفحم ثم الخمر في بونة"[3] فإبراهيم تخلّص من كل مظاهر العبودية والقهر التي تمارسها الثقافة أو الاستعمار فعبّر عن عدم رضاه به هذا التغيير الذي طالما نادى به مالك بن نبي من خلال كتابه الظاهرة القرآنية ويكون بالارتكاز على الفكرة الدينية فهي المحرك الذي ينهض بالأمة.

كما أن القرار الذي اتخذه الطفل للتخلص من اليتم والتّشرد والفقر جعله يركب السفينة متحديا أصدقاءه المتشردين"أنا أستطيع أن أذهب دون أن أدفع أي شيء"[4] وكان له ذلك فهو يعبر عن الأمل والرغبة في التغيير نحو الأفضل لقد وجد في إبراهيم حنان الأسرة المفقود، فطهّر بدنه من مسح الأحذية وقلبه من آثار الثقافة الأوربية ولعلّ الرّواية ما هي إلا امتداد لما جاء به مالك بن نبي من أفكار في كتابه الظاهرة القرآنية .

ثالثا: رمزية الحج في الرواية:

جاء الحج في الرواية كتمثيل رمزي للنهضة الحضارية فهو ليس غاية دينية فحسب، بل هو وسيله رمزية للتّطهّر من الانحطاط والاستلاب، فالبطل إبراهيم يمثّل الإنسان المسلم الذي يعاني من الفراغ الروحيّ والماديّ ويجد في الحج إمكانية للتجدد والتجاوز حيث يقول:"أحس

1 مالك بن نبي : لبيك حج الفقراء،ص 71.
2 المرجع نفسه :ص 55.
3 المرجع نفسه :ص 156 .
4المرجع نفسه ص130

وكأني إنسان جديد وأرى من حولي عالما جديدا أريد العيش فيه إن شاء الله"[1] هذا ما صرح به في رسالته إلى زهرة لما أراد الاستقرار بالمدينة بعد أدائه لفريضة الحج ، والتي تعد رحلة بداية جديدة وتطهيرا للنفس.

فالرواية تعد نداء قويا للضمير الإسلاميّ، وحج الفقراء لا يعني الفقر الماديّ بل الوجوديّ والروحيّ ، والحج يطهّر الفقير ويعيد له كرامته عكس من يؤدّي المناسك شكليا دون تحول داخلي أما مجتمع الباخرة فيعكس العالم الإسلامي المتنوع، ويظهر كيف يتفاعل البطل مع الآخر ،كما أنّ الرواية تتعمّد حذف مشهد العودة.

ونلمس في الرواية تقاطعا بين سيرة البطل مع سيرة المؤلف في عدة جوانب منها الفقر، النفي، الطموح،الشعور العميق بظلم الاستعمار الفرنسي،كما تناولت الخطاب الديني في مرحلة محاولات التحرر من الاستعمار، والجانب التبشيري الوعظي يبدو طاغيا فيها، فوظفت الخطاب الديني بشكل مباشر وهذا ما كانت تتطلبه المرحلة من محاولات إيقاظ للوعي الوطني حيث كانت تسعى إلى إعادة تشكيل وعي الفرد الجزائري من خلال سير متخيلة تترجم رؤية المؤلف الذهنية كما تدعو إلى العودة إلى الإسلام كمرجعيه حضارية لا شعائرية فقط،وتقترح الحج كوسيلة للنهضة الفردية والجماعية والسياسية وهو استراتيجية تخرج من خلالها المجتمعات الإسلامية من أزمتها الحضارية.

1- مالك بن نبي رواية لبيك حج الفقراء،ص155.

الفصل الثّاني: البعد الاجتماعيّ في رواية لبيك حجّ الفقراء:

المبحث الأوّل: الواقع الاجتماعيّ في رواية لبّيك حجّ الفقراء

المبحث الثّاني البعد الاجتماعيّ للشّخصيات

الفصل الثاني: البعد الاجتماعيّ في رواية لبيك حجّ الفقراء:

المبحث الأول :الواقع الاجتماعي في رواية لبيك حج الفقراء

تعدّ رواية لبيك حج الفقراء عملا أدبيا غنيا بالرموز والإسقاطات الاجتماعية كتبها المفكر مالك بن نبي، ليجعل من الحجّ رحلة رمزية تنكشف فيها خفايا المجتمع الإسلامي الحديث، كما تحلّل هذه الدراسة تجليّات الواقع الاجتماعي من خلال تتبع التناقضات الطبقية والنقد الرمزي للمنظومة الدينية والاجتماعية وتهميش الفئات المستضعفة، حيث تكشف لنا الرواية عن بنية اجتماعية متخلفة تقصي حقوق الفقراء وقدسيتهم، بل تدين الظلم الاجتماعي بطريقة تفتح الباب أمام إمكانية التغيير من خلال الوعي والإرادة الجماعية، واستعادة البعد الأخلاقي للدّين.

أولا: المظاهر الاجتماعية في الرواية

تعتبر رواية لبيك حج الفقراء انعكاسا اجتماعيا ونفسيا لشبكة العلاقات الإنسانية المتميزة بالصفاء والعفوية والقدرة على اتخاذ القرار، ويظهر ذلك في نموذج "إبراهيم" الذي تاب وعاد إلى رشده وطموح "هادي" الذي ركب مع الحجاج من غير وثائق وصبر زهرة التي عانت من تصرفات زوجها وثبات العم محمّد وعمله كمصلح وتعاون كل من يحيط بإبراهيم لتسهيل رحلته إلى الحج، فقد رصد مالك بن نبي الواقع الاجتماعي في رواية لبيك حج الفقراء من خلال الصبية "فينعتون المجنون بالمجنون والسكّير بالسكّير... المدافعون عن المصالح والأعراف والتقاليد"[1] كما يظهر الواقع الاجتماعي في الإحساس الداخلي لإبراهيم، فبعض الكلمات أيقظته من غفلته منها كلمة "بوقرعة" وهي إشارة إلى تعاطيه الخمر وكلمة الحاج دلالة على التغيير الذي عرفه عن طريق حلم من خلاله أراد الكاتب بعث فكرة مفادها أن التّغيير في محيط الإنسان يجب أن يتحقق في النفس أولا. هذا التغيير جعل إبراهيم لا ينسى

1 –مالك بن نبي: رواية لبيك حج الفقراء، ص50.

صاحبه "فلم يشأ المغادرة دون أن يعرج على صاحبه الذي أعلمه بالحدث العظيم وتنازل له عن المحل لصالحه"[1].

من خلال هذا التصوير أراد الكاتب أن يبيّن للقارئ أن إبراهيم مثال لذلك الفرد الذي ينهض بالأمة، ويسعى إلى النهوض بأمّته كما تناولت الرواية مجموعة من المظاهر الاجتماعية والمتمثلة في:

1) العادات والتقاليد

وهي كل فعل يصدر عن تفاعل مجموعة من الأفراد، ولا يصدر من شخص واحد بذاته وتحمل صفه الوراثة أي إنها متوارثة فهي مستندة إلى تراث يدعمها كما أنها مرتبطة بالظروف التي يعيشها المجتمع سواء أ كان من حيث الزمن كفصول السنة، أم من حيث المكان كالأراضي المقدسة.

والعادات التي ذكرت في الرواية والتي كانت سائدة في المجتمع الجزائري والتي عمل المستعمر على غرسها نجد الأضرحة والتبرك بها فقد كانت" زهرة تنتقل إلى القبة لكي تشعل شمعة هناك على أمل أن ينتهي سبب معاناتها ،وهو فسوق إبراهيم فسنوات عديدة كانت مع القزانات تجدد عملها"[2] وهذه العادة السيئة ما زالت متجذرة في المجتمع الجزائري وهي من الأفكار القاتلة التي تجعل المجتمع يراوح مكانه فلا طالما نادى مالك بن نبي بمحاربتها، ومن العادات الإيجابية التي أشار إليها مالك بن نبي هي مراسيم الاحتفال بالحجاج ومرافقتهم وتوديعهم وهذا تعبير عن مدى حبّ الشعب الجزائري لفريضة الحج واحترامه وتقديره لمن

1- مالك بن نبي: رواية لبيك حج الفقراء ص49

2-المرجع نفسه : ص48

يحمل اسم الحاج فقد كانت زوجة الشيخ في" انتظارهما وقد عبقت الغرفة التي خصصت لاستضافة الحاج بالبخور"[1]

إضافة إلى مجموعة من العادات والتقاليد التي تعبر عن أصالة المجتمع الإسلامي ومنها الضيافة والكرم وظهرت في أكثر من موضع، وهو ما يخص به الحجيج عند توجههم إلى مكة وهي عاده قديمة متجذرة في الثقافة الإسلامية إضافة إلى تقاليد اللباس والمظهر، فلباس الإحرام يعتبر رمز تقليدي يحطم الفروقات بين الأغنياء والفقراء.

لقد وظف مالك بن نبي العادات والتقاليد توظيفا رمزيا ونقديا، ويرجع السبب للرغبة في الكشف عن الفارق بين الدين الحقيقي والدين الاجتماعي ونقد للمجتمع الإسلامي المعاصر وإبراز القيمة الحضارية للحج، فأراد أن يعرف القارئ الأجنبي بشعيرة الحج وفضلها في المجتمع المسلم ويعرف أيضا بالفولكلور الجزائري والعادات والتقاليد في هذا البلد وخصوصا الذهنية الجزائرية في تعاملها مع أعظم شعيرة في الإسلام وما تتركه من أثار روحيه عظيمه مما تجعل الناس تحترم الحج. هذه الأخيرة وسيلة لاكتساب الاحترام والمكانة في المجتمع فينظر إلى من أدى فريضة الحج كرمزية سامية ويلقب باسم الحاج مما يضفي عليه مكانة خاصة في المجتمع أما الحج فهو عبارة عن تجربة تحولية تعزز مكانة الفرد في المجتمع وتكسبه التقدير والاحترام بين أقاربه وجيرانه.[2]

2) صورة المرأة في الرواية :

وهي من الشخصيات المغلوبة على أمرها والتي تناولتها الرواية من خلال شخصية زهرة زوجة إبراهيم فهي مثال للمرأة المسلمة المطيعة المحترمة والمحبة له على الرغم مما عانته من ويلات سكره، حيث كان يعاملها بقسوة خاصة بعد وفاة والديه اللّذان أوصاها بابنهما إلا

1- مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء، ص78

2- ينظر المرجع نفسه: ص 26

أن تماديه واستمراره جعلها تحسم أمرها وتغادر البيت دون أن تنطق ولو بكلمة ليتولىّ "العمّ محمّد" الاهتمام به.

أراد مالك بن نبي من ذلك أن يصور لنا من خلال شخصية زهرة تلك المرأة التي تقبل بالذل والمهانة في سبيل المحافظة على بيتها الزوجية، و هنا تظهر أهمية الرابطة الزوجية وقت الاستعمار، كما أراد الإشارة إلى وضع الأسرة الجزائرية خلال الفترة ذاتها، وعلى الرغم من كل هذا لم تستسلم زهرة بعد طلاقها فاتخذت لنفسها عملا فكانت" تشتغل بجدّ وتكتسب قوتها بشرف خياطة للعائلات البرجوازية"[1]، وهذا يدل على قوة شخصية المرأة الجزائرية لأنها كانت لا تكتفي بالوقوف متفرجة، بل كانت تساهم في دخل الأسرة.

3) صورة العمل في الرواية

إن التقدّم الذي يحقّقه الإنسان من خلال العمل في حياته الفردية والاجتماعية يشكل ظاهرة إنسانية متميزة وفريدة من نوعها" فالعمل ولو كان بسيطا فإن توجيهه الصّحيح يمكن أن يضمره، إذا كان من أهدافه هدف جماعي لا كسب للقوت اليوم فحسب" فيجب أن يكون "مصحوبا بنزعه تحدّ يخالجها نبذ للعوامل الداخلية كالقابلية للاستعمار والروح الانهزامية وقلة الفاعلية"[2] فالعمل عند مالك بن نبي ليس أداة للرزق فقط بل طريق للتّحرّر من الذلّ والتبعية فهو يمنح الإنسان الكرامة ويرقى به خاصة الفقراء، فعلى الرغم من إدمان إبراهيم السكر، إلا أنّه لم يتخل عن عمله في محله كفحام، أما الطفل "هادي" فعلى الرغم من صغره إلا أنه لم يكن متكاسلا أو متواكلا فاتّخذ من العمل طريقا للتّحرر فكان يعتمد على نفسه في مواجهة مشاق الحياة وقسوتها، فعمل كماسح للأحذية وعند ركوبه للسفينة واكتشاف أمره من طرف ربان السفينة عمل على مساعده الحجاج ،كما تظهر قيمة العمل في الرواية من خلال سلوك الحجاج الفقراء الذين قرروا الذهاب إلى الحج دون مال معتمدين

1 – مالك بن نبي :لبيك حج الفقراء،ص71.

2 –المرجع نفسه ص22.

على جهدهم وسواعدهم حيث كانت رحلتهم لمواجهه الواقع لا الهروب منه، فالعمل في نظر بن نبي وسيلة للنهوض بالمجتمعات.

ثانيا: الجوانب الاجتماعية في الرواية

1) الجوانب السّلبيّة في الرواية

أ. الطّلاق

يظهر الطلاق في الرواية في قصة زهرة التي سئمت من سلوك زوجها إبراهيم "فطلبت منه...الخلع وحصلت على الطلاق"[1] حيث كان يعذبها خاصة بعد انتقال والديه إلى الرفيق الأعلى، وللطلاق أبعاد رمزية تتجاوز مجرد انفصال زوجي بين شخصين ،بل يعكس وجود خلل في البنية الاجتماعية والنفسية للمجتمع المسلم الحديث ، وتظهر ما آل إليه حال العلاقات الإنسانية في ظل الانفصال عن القيم الحقيقية .

فتوظيف مالك بن نبي للطلاق يهدف من خلاله إلى تسليط الضوء على هشاشة العلاقات الاجتماعية والتي تأثرت بالمادية ،فالزواج لم يعد علاقة مودّة وتكامل ،بل ميدانا للنزاعات وهو ما يقود إلى انهيار الأسر ، كما يعدّ صورة مصغرة لانهيار مجتمعي يحتاج إلى إصلاح شامل يبدأ من النفس.

ب.الفقر والحرمان:

تجسد الفقر والحرمان في الرواية من خلال شخصية "هادي" الذي كان يعيش رفقة عائلته في خيمة بالية كما حكى لهم أي الحجاج، وكان مصدرهم الوحيد أربع دجاجات كانت أمه تبيع بيضهن لأجل شراء ملابس للعائلة الفقيرة حيث كان يقول" لكن أمي ماتت وباع أبي الدجاجات لأن بيضها كان يسرق من الزريبة التي ذهبنا لنقيم فيها لنكون

1- مالك بن نبي : لبيك حج الفقراء، ص 46.

داخل المدينة"[1] وبعد وفاه والدته لحقها أبوه مما جعله يعيش الحرمان الأسري حيث عاش متشردا محروم الوالدين لا يملك أبسط المتطلبات التي يحتاجها الطفل من الرعاية والحنان.

ج. الاحتقار والكراهية:

يعد الاحتقار من الجوانب السلبية وكثيرا ما ينشأ بسبب الاشمئزاز من الشخص المقابل كما يسببه النظرة الدونية إلى آخر دون المستوى، بحيث يشعر بالاحتقار، وتجلى في الرواية من خلال عبارة "أحس إبراهيم بأنه محتقر من قبل زهرة التي تبدو له وكأنها لا تعيره اهتماما كافيا"[2] حيث أراد مالك بن نبي أن يكشف لنا على الانكسار الداخلي الذي كان يعيشه إبراهيم وهو بذلك يبرز لنا أن الاحتقار ليس فقط شعورا فرديا، بل هو انعكاس لواقع اجتماعي حيث يحتقر الفقراء والمهمّشون حتى من أقرب الناس إليهم نتيجة للضغوط ويبين أنّ الاحتقار يكون عائقا أمام التغيير الاجتماعي والتحول الروحي في الوقت نفسه، وقد يكون دافعا للبحث عن الكرامة والتحرر.

و تصور لنا الرواية إبراهيم كشخصية تعاني من النبذ الاجتماعي والكراهية من قبل جيرانه نتيجة لسلوكياته السابقة التي كانت تسبب لهم الإزعاج فقد كان معروفا بسكره وسهراته الليلية الصاخبة مما أدى إلى توتر علاقته مع محيطه الاجتماعي حيث "لم يتقبل الجيران أن يكون بينهم مطلق وسكير ولكنهم احتملوه لأنه كان صاحب المنزل وأيضا العم محمد كبير البيت لقد كان فوق القلوب أي لا يحبه أحد باللهجة المحلية كان جيرانه يديرون وجوههم عند لقائه كانت جاراته يختفين عند دخوله وخروجه"[3] ومع ذلك فالرواية تظهر لنا تحولا في موقف الجيران تجاه إبراهيم بعد تغيره الروحي، وقراره بالقيام بالحج هذا التحول يبرز

1- مالك بن نبي : لبيك حج الفقراء ، ص 128.
2-المرجع نفسه ، ص 48.
3- المرجع نفسه، ص 78.

الرسالة العميقة للرواية حول إمكانية التغيير والتسامح وكيف أن النية الصادقة والتوبة يمكن أن تعيد بناء العلاقات الاجتماعية وتزيل مشاعر الكراهية والحقد.

2) الجوانب الإيجابية

أ. حسن الضيافة

يعتبر حسن الضيافة قيمة من القيم الاجتماعية التي أوصى بها الدّين الإسلامي والتي تميز المجتمع الجزائري فهي من شيم المسلمين، وقد أراد مالك بن نبي أن يوصلها إلى القراء فالرواية تتضمن عبارات ترمز إلى حسن الضيافة وذلك في قوله: "وكثير من الضجيج تستضيفهم عائلات المدينة حيث تتشرف بتقديم آخر الوجبات للمتوجهين إلى البقاع المقدسة"[1] من خلال هذه العبارة يظهر لنا استضافة أهل عنابة للحجيج وتقديم بعض الوجبات لهم من أجل الاستراحة قبل التوجه إلى البقاع المقدسة.

ونجد حسن الضيافة عند شرح كيفيه استقبال الحاج عند رجوعه في قوله: "فالحاج ليس ضيفا عاديا لذا يجب أن تحفظ أصول الضيافة معه فحتى عجائز الدار المضيفة يخصصنه باستقبال حار مفعم بأجواء عائلية"[2] وهنا تظهر مكانه الحاج في المجتمع وقدسيه الحج عند المجتمع الجزائري وفي موضع آخر يظهر حسن ضيافة العم محمد لإبراهيم "غير أنه أدرك شيئا جديدا طرأ على الحياة...رسمت استضافة العم محمد على وجه إبراهيم ملامح التقدير إذ بدا متأثرا وقد ملأت الدموع عينه محدثا نفسه لقد قبلوني في المنزل ودعاني الشرفاء إلى مائدتهم"[3] وهنا يظهر تقدير العم محمد واحترامه لإبراهيم كما أثر في إبراهيم حسن الضيافة له من قبل الشرفاء.

1- مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء، ص29.
2 - المرجع نفسه: الصفحة نفسها.
3 - المرجع نفسه: ص 66.

ب. **التعاون والتضامن**

أوصى بهما الإسلام لأن الإنسان ابن بيئته لا يستطيع العيش بمعزل عن المحيط الذي عاش فيه وتتجلى المساعدة في الرواية من خلال قوله: "ليحفظك الله (ادخل)، (ادخل) مخاطبا السكير وهو يمدّ يده لكي يساعده على تجاوز العتبة..."[1] فالعم محمد يساعد السكير إبراهيم على تجاوز عتبه محله وهنا يظهر عطف وحنان العم محمد تجاه إبراهيم على الرغم من سكره وهو فعل يتنافى مع مبادئ العم محمّد وقيمه.

وفي موضع آخر يساعد الشيخ الفتى الصغير من أجل صعوده الباخرة فيقول: "فما كان مني إلا أن ألقيت الحبل وأشرت إلى الطفل الذي كان ينتظر وقد ارتسمت الفرحة على قسمات وجهي...تسلق الحبل بخفة القرد ووصل إلى السطح وهو مبتل بالماء..."[2] كما يصور لنا الكاتب الحجيج وهم يساعدون الطفل هادي للإقامة بينهم وتوفير لباس الإحرام له.

فالتعاون في الرواية ليس فقط بين الأفراد بل هو رمز لما يجب أن تكون عليه الأمة الإسلامية للتحرر من قيود التبعية من خلال التكافل الاجتماعي كما يعبر عن نمو الوعي الجماعي لدى أفراد المجتمع .

1- مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء، ص34.
2 - المرجع نفسه: ص 117.

الفصل الثاني: البعد الاجتماعيّ في رواية لبيك حجّ الفقراء:

المبحث الثاني: البعد الاجتماعي للشخصيات

أولا: مفهوم الشخصية

تعد الشخصية من أبرز مكونات العمل السردي، وهي العامل الذي يؤهل الرواية للنجاح والتميز، إذ من خلال تفاعلها تتطور الأحداث وتتماشى وتتأزم وفق إطار مكاني وزماني، وقد تعددت الآراء والكتابات حولها وذهب النقاد والأدباء مذاهب متباينة بخصوص بنيتها وفعاليّتها في العمل الروائي نظرا لأهميّتها فشكّل مفهومها نقطه تحوّل، لهذا يجب الوقوف على معناها اللّغوي والاصطلاحي

أ-لغة:

بالعودة إلى المعاجم اللغوية ومنها :

لسان العرب لابن منظور في ماده(ش-خ-ص) "أن الشخص جماعة، شخص الإنسان وغيره، مذكر، والجمع أشخاص وشخوص والشخص سواء الإنسان وغيره تراه من بعيد، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه، والشخص كل جسم له ارتفاع وظهور، وشخَّص يعني ارتفع، والشخوص ضد الهبوط، وشخَّص ببصره أي رفعه وشخَّص الشيء عيَّنه وميَّزه عما سواه"[1]. الملاحظ من تعريف "ابن منظور" أنه أطلق المصطلح على الشخص الظاهر للعيَّان فهو يحيلنا إلى هيئة الشخص الخارجية أي جانب السلوك والفعل، كما نجد فيه دلالة على الحضور والوضوح.

وفي القاموس المحيط جاءت بمعنى (ارتفع عن الهدف، شخص بصوته فلا يقدر على خفضه، وشخص به فمعنى أتاه أمرا أقلقه وأزعجه)[2]

1- ابن منظور: لسان العرب، مادة (ش،خ،ص)، ج3،ص36.

2- الفيروز أبادي: قاموس المحيط مادة (ش،خ،ص)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص 409.

الفصل الثاني: البعد الاجتماعيّ في رواية لبيك حجّ الفقراء:

كما وردت في معجم "محيط المحيط" شخّص الشيء عيّنه وميّزه عما سواه ومنه تشخيص الأمراض عند الأطباء أي تعينها ومركزها، وأشخصه أزعجه، وأشخص فلان حان سيره وذهابه، وعند الأصمعي: أن الشخص إنما يستعمل في بدن الإنسان إن كان قائما لها"[1]

كما ورد المفردة في القرآن الكريم بمعنى الظهور والبروز وذلك في قوله تعالى" **وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ** "[2]

ما نلاحظه من خلال التعريفات السابقة أن لفظ الشخص تطلق على كل ذات بشرية مهما اختلف جنسها ذكرا أو أنثى ومهما اختلف شكلها وجسمها.

أ. اصطلاحا

تعرّف الشخصية من الناحية الاصطلاحية على أنها المحرك الرئيسي الذي يدفع بتطور الأحداث داخل العمل الروائي وهي" عنصر محوري في كل السرد بحيث لا يمكن تصور عمل دون شخصيات"[3]،حيث اكتسبت مفاهيم متعددة بتعدد وجهات نظر الأدباء والنقاد، فالشخصية هي القطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردي وعموده الفقري الذي يرتكز عليه .

وقد تجلت عدة مفاهيم حول الشخصية فمن المنظور السيكولوجي يرى "مورتن برنس" أن الشخصية "مجموعة الاستعدادات أو الميول والدوافع والقوى الفطرية الموروثة بالإضافة إلى الصفات والاستعدادات والميول المكتسبة"[4] بمعنى أن الشخصية تتكون من عناصر فطرية

---

1 - بطرس البستاني: القاموس المحيط، مكتبة لبنان، بيروت 1998، ص455.

2- سورة الأنبياء الآية 96.

3- صبيحة زعرب، غسان كنفاني: جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2006، ص117.

4- نادر أحمد عبد الخالق: الشخصية الروائية بين أحمد بالكثير ونجيب الكيلاني، دراسة موضوعية وفنية، دار العلم والإيمان، ص44.

وأخرى مكتسبة، وهي ناتج تفاعل ما يرثه الإنسان بيولوجيا كمستوى الذكاء والانفعال وما يكتسبه من بيئته وتجربته من قيّم ومعتقدات وعادات ومهارات .

ومن الناحية الاجتماعية فتعني "التكامل النفسي الاجتماعي للسلوك عند الكائن الإنساني الذي نعبر عنه العادات والاتجاهات والآراء"[1] فهي أحد أسس النظام الاجتماعي كما أنّها مجموعة العادات والتقاليد التي تعبر عن تصرفات وأفكار الإنسان في المجتمع.

ومن الغربيين الذين اهتموا بدراسة مفهوم الشخصية نجد رولان بارت حيث يرى بأنها "نتاج عمل تأليفي وكان يقصد أن هويتها موزعة في النص عبر الأوصاف والخصائص التي تستند إلى اسم علم يتكرر ظهوره في الحكيّ" [2]، وعليه فإن بارت جعل الشخصية من خلال ما يمنحه لها الإطار النصي فحسب، فيعتبرها كائنا ورقيا ليس له وجود خارج الكلمات.

في حين يشير "غريماس" إلى أن الشخصية هي "مجموع العوامل تبقى ثابتة وفق منظومة معينة، وأنّ هذه الشّخصيّة يمكن أن يؤديها عدد لا نهائي من الممثلين"[3] فالشخصية في نظره ليست مجرد تصرفات ومظاهر، بل هي بنية مستقرة مكونة من عوامل أو سمات كالطبائع والقيام والاتجاهات، كما أنها ليست مرتبطة بفرد بعينه، بل هي دور قابل للتمثيل من عدّة أشخاص ضمن سياقات أو ظروف متشابهة.

أما الشخصية عند "فيليب هامون" فهو يختلف عن "رولان بارت" و"غريماس" من خلال دراسته للشخصية من منظور لساني نحوي قائم على ثنائية الدال والمدلول" فهو يتوقف عند وظيفة الشخصية من ناحية النحوية فيجعلها بمثابة الفاعل في العبارة السردية لتسهل عليه بعد ذلك المطابقة بين الفاعل والاسم الشخصي (الشخصية)" [4]فيذهب إلى القول بأن

---

1 – محمد بوعزة :تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم ،منشورات الاختلاف ،الجزائر ،ط1،2001،ص39

2– حميد لحمداني : بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،المغرب،ط3 2000 2

3– ناصر الحجيلان : الشخصية في قصص الأمثال العربية ،دراسة في الأنساق الثقافية للشخصية العربية ، النادي العربي الرياض ،ط1، 2009، ص70

4 - جميل حمداوي : مستجدات النقد الروائي ،شبكة الألوكة، ط1، 2011،ص221-222

الفصل الثاني: البعد الاجتماعيّ في رواية لبيك حجّ الفقراء:

مفهوم الشخصية" ليس مفهوما أدبيا محضا وإنما هو مرتبط بالوظيفة النحوية التي تقوم بها الشخصية داخل النص أما وظيفتها الأدبية فتأتي حين يحتكم الناقد إلى المقاييس الثقافية والجمالية، ومن هذه الناحية يلتقي مفهوم الشخصية بمفهوم العلامة اللغوية حيث ينظر إليها كمرفيم فارغ في الأصل سيمتلئ تدريجيا بالدلالة كلما تقدمنا في قراءه النص" [1]

كما احتل مصطلح الشخصية الاهتمام الأكبر في الدراسات لدى النقاد العرب ولعل أبرزهم "محمد غنيم هلال" الذي رأى أن "الأشخاص في القصة مدار المعاني الإنسانية ومحور الأفكار والآراء العامة ولهذه المعاني والأفكار المكانة الأولى في القصة منذ انصرفت إلى دراسة الإنسان وقضاياه إذ لا يسوق القاص أفكاره وقضاياه العامة منفصلة عن محيطها بل ممثلة في الأشخاص"[2] يلاحظ من خلال القول أن "غنيمي" يولي للشخصية أهمية كبرى في المتن الحكائي فهي التي تجسم الفكرة من خلال تصرفاتها، وبها تتطور الأحداث وتنمو .

أما الناقد "عبد المالك مرتاض" فيرى أن للشخصية أهمية ودورا فعالا في البنية السردية، فهي قادرة على ما لا يقدر عليه أي عنصر آخر من المشكلة السردية، ففي نظره أن الشخصية هي المحرك الأساس لأحداث الرواية والرئيسي لها، كما يرى في كتابه "نظرية الرواية" أنّ الشخصية" هي التي تصطنع اللغة وهي التي تثبت أو تستقبل الحوار وهي التي تصطنع المناجاة... وهي التي تنهض بدور تضريم الصراع أو تنشيطه من خلال سلوكها و أهوائها وعواطفها... وهي التي تتكيف مع التعامل مع هذا الزمن في أهم أطرافه الثلاثة الماضي، الحاضر، المستقبل"[3] .

نستخلص من التعريفات السابقة أن الشخصية كائن قد يكون واقعيا أو خياليا لها دور هام في بناء الرواية وتطورها، فالروائي يختلقها ويلبسها مجموعة من الصفات والمميزات

1- جميل حمداوي: المرجع السابق ، ص222.

2- صبيحة عودة زغرب، غسان كنفاني: مرجع سابق، ص 117.

3- عبد مالك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة كتب شهرية ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1998 ص91.

الفصل الثاني: البعد الاجتماعيّ في رواية لبيك حجّ الفقراء:

فهي تعبر عن ما في المجتمع حيث تلعب دورا رئيسا في تجسيد فكر الروائي وهي العنصر المؤثر في تسيير أحداث العمل الروائي بمعنى أن الشخصية يقترحها الروائي وتجسد لنا رؤيته الخاصة، فهي تحتل الحد الأوفر في الرواية، فلا يوجد سرد بدون شخصية، حيث يتمحور حولها المضمون الذي يريد الكاتب إيصاله للقارئ.

ثانيا: الشخصيات الرئيسية

تتمثل الشخصيات الرئيسية في كل من:

1) **إبراهيم:**

هذه الشخصية محورية قامت عليها جل مقاطع السرد، فإبراهيم إنسان بسيط يمارس مهنة الفحام كما أنه يحمل تناقضا في شخصيته، فعلى الرغم من سكره إلا أنه عاطفي يحب الخير ولا يرضى بما هو عليه فهو يرى أن سكره ليس بيده " آسف يا عمي محمد أنه مكتوب على الجبين، والله إنه مكتوب"[1] هذا ما صرح به إبراهيم للعم محمد.

فالرواية تعبّر عن زمن الاستعمار والذي اختلطت فيه عادات وتقاليد المجتمع الجزائري مع عادات وتقاليد المجتمع الفرنسي، فجمع الكاتب لنا بين السكر والفحم في الرواية فالأول يدل على الذوبان في ثقافة الآخرين، في حين مهنه الفحم تدل على الجانب المظلم الذي تعيشه فئة كبيرة في الجزائر نتيجة الوضع القائم. .

والوضعية الاجتماعية لإبراهيم هي التي ساهمت في تغييره، كما أنه يمثل الشريحة الأكبر من الجزائريين والمتمثلة في الشباب، وأبرز ما ميّز شخصيته رفضه للوضع الذي تسبب فيه المستعمر وكرسه بشتى الطرق، فهو لم يكن مستسلما لهذا الوضع ولم تتملّكه الانهزامية قط، بل آمن بالتغيير وحاول أن يكون صالحا فقد "كان لدى إبراهيم هذا الإحساس بالخزي

1 – مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء، ص 33.

الذي ينزل بهذه الشريحة المشبوهة من الناس الذين طبعتهم الحياة التي أخذت منعطفا عصريا والذين هم متشردون دون مأوى ولا عائلة على هامش مجتمعين :مجتمع مسلم وآخر أوروبي، كان لديه إحساس بأنه ينتمي إلى الشريحة الثانية هذه"[1].

فإبراهيم ينتمي إلى الفئة التي تريد أن تتحرر من قيود المستعمر، وذلك من خلال الرجوع إلى دينها وترك كل ما هو دخيل عليها، فعزم على عدم العودة إلى ما كان عليه" لن أعود إلى ما كنت عليه يا عمي محمّد"[2] من هنا نلاحظ أن الكاتب كان له بعد الرؤية حيث أشار ضمنا إلى أن الجزائر سوف تتحرر من قيود الاستعمار ولا يكون ذلك إلا من خلال ما فعل إبراهيم وذلك بالرجوع إلى الدين والقيم.

2) الطفل هادي

لقد تغير الوضع الاجتماعي للطفل هادي من حال إلى حال من طفل متشرد ماسح للأحذية يتيم إلى حاج مكفول فالطفل هادي طفل فقير" كان والده يذهب كل صباح إلى المدينة أو إلى مزارع الكروم المجاورة للعمل...أما والدته فقد كانت معه ترعاه وتحرس الثلاث أو أربع دجاجات اللاتي كان بيضهن بعض المال لشراء الملابس للعائلة الفقيرة" [3]، ثم راح الطفل في معرض حديثه يشرح حالته الاجتماعية فعلى الرغم من فقره ويتمه وبيع الأب للدجاجات "لأن بيضهن كان يسرق من الزريبة" [4]هذا ما جعله يتحسر عند على بيع الدجاجات التي تعد آخر العهد به بينه وبين أمه وبينه وبين الريف ثم واصل قص لحاق أبيه بأمه بعد وقت قصير بعد ذلك يقرر السفر للحج دون أوراق وهذا التحدي رفعه هادي أمام زملائه المتشردين وهذا يدل على قوه شخصيته وأن الظروف الاجتماعية جعلت منه كذلك،

1- مالك بن نبي : لبيك حج الفقراء ،ص45.

2- المرجع نفسه :ص 57.

3 - المرجع نفسه ،ص 128.

4 المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

إلى حين تعرفه على إبراهيم على ظهر المركب وقام بكفالته حيث يقول إبراهيم:" طفل صغير من بونة كان قد ركب المركب خفيه وقد قبل أن يصبح بمنزله ابني"[1]، وهذا يدل على الروح الجماعية التي يتمتع بها المجتمع الجزائري من تكافل وإيخاء .

ثانيا: الشّخصيات الثّانوية

1) العمّ محمّد

تعدّ شخصية العم محمد شخصية مساعدة للغير تمتلك هبة اجتماعية فهي تمثل القدوة والنموذج الأمثل كما تمثل الأصالة الجزائرية المتمسكة بقيّمها النبيلة ونخوتها وتدل على الضمير الاجتماعي إذ كان يساعد إبراهيم على تجاوز عربدته فدخل الشيخ معه إلى الداخل "وكأنه يعرفه تفاصيل المكان كان يتحسّس في الظلام بيديه تناول علبه الكبريت وبزند عود منها أشعل شمعة"[2] وكأنه يريد أن يبين له طريق الحق والنور ومنه لكل جزائري.

2) الزوجة زهرة:

شخصية الزوجة زهره تعد الأسرة نواة المجتمع وأساس بنائه فهي التي تغرس القيم وتنشئ الأفراد على المبادئ الاجتماعية والثقافية ومن خلال العلاقات الأسرية السليمة تتعزز روح التعاون والاحترام، وأساس هذه العلاقة الأسرية زوجان صالحان ولهذا حفظ الدين الإسلاميّ هذه العلاقة قال الله تعالى:" **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** "[3].

وفي رواية لبيك حج الفقراء مثلت زوجة إبراهيم زهرة هذه العلاقة السامية محاولة المحافظة على بيتها وأسرتها، فهذه الشخصية لا تمثل زهرة فحسب، بل تمثل كل امرأة جزائرية

1 – مالك بن نبي : لبيك حج الفقراء ،ص156 .

2– المرجع نفسه، ص 34.

3 - سورة الروم الآية 21.

صالحة نظرا لما للأسرة من قيمة في المجتمع لهذا تحاول الحفاظ عليها بكل الطرق حتى ولو على حساب نفسها، وزهرة كانت تصبر على معاملة زوجها وتعامله معاملة حسنة على الرغم مما كانت تلقاه منه من تصرفات سيئة "هذه الزوجة المخلصة التي اختارها له والده والتي قاست معه الأمّرين"[1] ومن الأخلاق التي تميز زهرة إخلاصها ووفاؤها ويظهر ذلك في امتناعها عن الزواج بعد طلاقها "ومع أنها كانت مطلقه فقد رفضت أن تتزوج مرة أخرى إكراما لذكرى حمويها"[2] وهذا يدل على تماسك الأسرة الجزائرية التي حاول الاستعمار أن يفرق بين أفرادها إلا أنه لم يكن له ذلك، ففي تفرقها وضياعها ضياع للمجتمع وللجزائر وقضيته بصفة عامة.

3) العمّة فاطمة

العمة فاطمة هي زوجة العم محمد وقد كانت بمثابة أم لإبراهيم، مثل ما كان العم محمد بمثابة الأب له فعندما أراد إبراهيم الحجّ قامت بإعداد المؤونة له فكانت "تكن له مشاعر الأمومة لأنها رأته وهو يكبر كذلك بسبب أهله الطيبين الذين رافقتهم حتى آخر لحظه في حياتهم"[3] وهذا يدل على حبّها الخير للآخر واحترامها له على الرغم من مكانته الاجتماعية، فالعمة فاطمة مثل للأصالة الجزائرية وشخصيتها لا تبتعد كثيرا عن دلالة شخصية العم محمّد ودورهما في الرواية واحد.

4) الجيران

يظهر الجيران في الرواية بموقفين متناقضين في معاملتهم للبطل إبراهيم، فهم يعبرون عن رفضهم لكل ثقافة أو سلوك دخيل عن قيم المجتمع الجزائري المحافظ فتعاملوا معه في لحظة، أما الموقف الثاني فيظهر عندما أراد أن يصير إبراهيم حاجّا فهبّوا لمساعدته وأبدوا له احتراما

1- مالك بن نبي : رواية لبيك حج الفقرا،ص 70.
2- المرجع نفسه: ص 71.
3- المرجع نفسه ،ص79.

شديدا "لقد أصرّ الجيران على أن يهدوا لك هذه القفة"[1] وهذا يدل على أخلاقهم وطبيعتهم فهم يعبرون على حقيقة الشعب الجزائري

سكره بنوع من الحذر والمحافظة على أنفسهم من أذاه وتمثل هذا المشهد فتاة جيران البيت عندما التقت بإبراهيم ليلا وهو في حالة سكر فظنته أنه شبح ،ففزعت وخافت هنا رفض الجيران بقاء إبراهيم في المنزل الذين يعيشون فيه "فتمتم معتذرا لكن الجيران قد أصدروا حكمهم ورأوا أنه قد تمادى كثيرا وحدّدوا أجلا للعم محمّد لرحيل إبراهيم الذي امتثل للحكم وغادر البيت"[2] وهذا يدل على أن الجيران يمثلون الموقف المعارض لأغلبية الشعب الجزائري والمحافظ على قيّمه.

5) شخصية المثقف

لم يتعامل "مالك بن نبي" مع شخصية المثقف كتعامله ما بقية الشخصيات بل اكتفى بالإشارة إلى لباسه وهيئته من خلال شاشيته الحمراء حيث وصف بن نبي في جزء من روايته يوميات الحجاج على ظهر السفينة فذكر اجتماعهم لأداء الصلوات وتناول وجبات الطعام وفي هذا الصدد عندما عاد الإمام مع معاونيه يحملان الطعام بدا الحجاج يتفحصون الطعام لأنهم لم يكونوا معتادين على تناول طعام المطابخ وما لفت انتباههم وجبه اللحم إلا أن إبراهيم أكد لهم أن اللحم ليس لحم خنزير وشاهد الحوار البحار، فدار حوار بين الحجاج والبحار حيث قال: "نحن المسلمين لا نأكل لحم الخنزير"[3] فاغتنم البحار الفرصة لطرح الأسئلة التي كانت تجول في خاطره فبادر قائلا: "أنتم أيها المسلمون لا تأكلون الخنزير ،ولا تشربون الخمر، أمحمد هو الذي يمنعكم؟"[4] فأجابه إبراهيم يجب ألا نأكل لحم الخنزير وألا

1- مالك بن نبي: رواية لبيك حج الفقراء: ص70.
2- المرجع نفسه: ص79.
3 - - المرجع نفسه: ص103.
4 - المرجع نفسه: ص 104.

نشرب الخمر وإلا ذهبنا إلى الجحيم فارتأت الجماعة على أنها إجابتة ناقصة لذلك طلبوا من إبراهيم أن يبين أن المنع ليس من محمد وإنما من الله.

هذه الإجابة لم تقنع البحار فرد بلهجة ساخرة.هنا تدخل حاج كان متكئا على المترسة فوق رأسه شاشية حمراء وشكله يدل على أنه أحد المثقفين الجزائريين الذين يجيدون اللغتين فرد على البحار" ليس محمد ولا الله... لكنّ الرب هو الذي قرر المنع"[1] فارتبك البحار نتيجة هذا الرد غير المتوقع نظرا لاستخدام المثقف كلمة الرب والتي يدرك معناها البحار، ففي نظره أن كلمة الله يختص بها المسلمون فقط. أما ما جعل المثقف يستخدم كلمة الرب حتى يخاطب البحار حسب فهمه وإن دل هذا فإنما يدل على فطنة وذكاء المثقف، فتدخله جاء ردا على الإشاعات التي يستعملها الغرب عن المسلمين ويروج لها بعضهم. لأن مالك بن نبي يرى أن للمثقف الأولوية في الرد والأزمة التي يعيشها المجتمع الإسلامي هي أزمة تغييب صوت المثقفين، فالمثقف في الرواية هو الكاتب نفسه.

رابعا: العلاقة بين الشخصيات

من المفاهيم التي ركز عليها مالك بن نبي في روايته نجد التربية الاجتماعية، والتي تعد منهج حياة المجتمع فهي ترشده إلى طريقه، كما أنها ليست تكديسا لمجموعه أفراد في رقعة جغرافية واحدة بل مجموعة من الأفراد تربطهم شبكة من العلاقات الاجتماعية توجّه نشاطاتهم المختلفة في اتجاه وظيفة محدّده وهي خدمه المجتمع وبناء الحضارة.

والمجتمع مجموعه من العناصر والمكونات التي تربط بعضها ببعض وقد تضمنت الرواية لبيك حج الفقراء مجموعة من علاقات الاجتماعية تتمثل فيما يلي:

1- مالك بن نبي: المرجع نفسه، ص 106.

الفصل الثاني: البعد الاجتماعيّ في رواية لبيك حجّ الفقراء:

1) علاقة إبراهيم بالجزائريين:

جمعتهم علاقة سيئة نتيجة تصرفاته وملازمته شرب الخمر، فابتعد الناس عنه حيث وصف الكاتب حالته: "كان طيشه قد بدا في دكانه حيث يتناول عشاءه رفقه جماعة من المخمورين...فلقد أزعج صوته الهدوء الذي كان يسود الشارع[1] ".

وهذا ما جعل جيرانه يقومون بطرده حيث لم يعد مرغوبا فيه بسبب سلوكه وبعد سماعهم بتوبته احتفلوا بذلك ودعوه إلى مائدتهم وفرحوا به وهذا دلالة على أن المجتمع الجزائري الذي يمثله كل من الجيران وزهرة والعم محمد يكن الاحترام والتقدير للفرد المحافظ على أخلاقه ودينه أما التحوّل الذي عرفه إبراهيم فهو تحوّل نحو الفطرة السليمة وعودة إلى الروحانية

2) علاقة إبراهيم بالطفل الهادي

نشأت بين إبراهيم والطفل علاقة أسرية وكلاهما عاش حياة قاسية وقرر الخروج منها من خلال ركوب السفينة فإبراهيم أراد أن يطهر قلبه من أضرار الثقافة الأوربية، في حين أن هادي طهّر يده من مسح الأحذية كما استرجع مع إبراهيم حنان الأسرة الذي افتقده وكل من إبراهيم وهادي نموذج أراد من خلاله مالك بن نبي أن يصور حال المجتمع الجزائري.

3) علاقة إبراهيم بالحجاج على ظهر السفينة

صوّر لنا مالك بن نبي شبكة العلاقات الاجتماعية على ظهر السفينة من خلال التقاء إبراهيم بالحجيج والقادمين من دول أخرى من مختلف شرائح المجتمع وبمختلف ثقافاتهم وخلفياتهم حيث تلتقي الأفكار وتتلاقح الثقافات، حيث بنيت هذه العلاقات على الاشتراك الروحي فإبراهيم البطل وجد نفسه أمام غرباء سرعان ما أصبحوا أقرباء له ،فتميزت العلاقة

1. مالك بن نبي: رواية لبيك حج الفقراء، ص37.

بينهم بالنقاء والصفاء وبالعفوية والبساطة، ويظهر في قوله: "ولتمخر بهم الباخرة عباب الأمل والرجاء في تلبيه النداء، أو لتعود بهم إلى وطنهم في فرح الغفران"[1].

فعلى الرغم من أنها رواية جزائرية في أغلب أحداثها إلا أن بن نبي حرص على تصوير وإبراز مدى التعايش والتفاهم الذي كان عليه مجتمع الباخرة بصفة خاصة والمجتمعات المغاربية بصفة خاصة لأن المعاناة كانت واحدة .

4) علاقة إبراهيم بالفرنسيين

اللقاء الوحيد لإبراهيم مع الفرنسيين كان على ظهر السفينة وهنا أراد بن نبي أن يصور لنا مشهدا يعبر من خلاله عن الحوار مع الآخر فعلى الرغم من ثقافة إبراهيم الدينية الضئيلة إلا أنه دخل في حوار مع البحار الفرنسي الذي تطفل على الحجاج بفضول ليعرف رأيهم في بعض المسائل الدينية ويبث بعض الشبهات حول تحريم الإسلام لشرب الخمر وأكل لحم الخنزير فتدخل أحد المثقفين العارفين باللغة الفرنسية لينقذ إبراهيم ويدخل الربان في ارتباك فعلى الرغم من اختلاف المعتقد إلا أن بن نبي حافظ على الجو الودي المتفاهم بين المسلم ومخالفه في عقيدته على ووجهات النظر ويهدف بن نبي من خلال روايته إلى أن يعرف القارئ الأجنبي بشعيره الحج وفضلها في مجتمع المسلمين وهو ما أبداه في روايته من خلال فضول البحار الفرنسي وتطفله عليهم بغية اكتشاف الشعور الذي يستقبلون به أداء شعيرة الحج.

1 – مالك بن نبي: المرجع نفسه، ص13-14.

الخاتـــمة

الخاتـــــــــــــمة

ما يلفت الانتباه بعد الانتهاء من قراءة الرواية ودراستها أنها ليست رواية عابرة كتبت للإمتاع والمؤانسة، وإنما هي رواية فلسفية تفيض فكرا وتعج بالتوجيهات الدينية، جسد فيها مالك بن نبي ما يؤمن به من أفكار وما يعتقد من تصورات، كما تعتبر واحدة من الأعمال التي انتصرت للفكرة الدينية الإسلامية حيث مهدت لظهور بذور الرواية الإسلامية في الجزائر.

إن ابن نبي يرى أن لا خلاص لهذه الأمة إلا بالعودة إلى جذورها وتمسكها بأصولها العربية الإسلامية وأيّ ابتعاد عن هذه الأصول هو ابتعاد عن الحضارة، لهذا كان المستعمر يحارب الدين في المجتمعات الإسلامية.

كما نلاحظ حضورا للجانب الديني في الرواية انطلاقا من العنوان من خلال كلمة لبيك والتي تجاوزها الكاتب إلى أبعد من ذلك من خلال تصوير رحلة الحج وهي الرحلة الروحية التي غيرت مسار حياة البطلين، والتغيير عند مالك بن نبي لا يكون إلا من خلال تغيير الذات أولا وذلك لأن بناء المجتمع لا يتأتى إلا من خلال تكوين الأفراد وبناء ذواتهم.

وتعد الرواية تمثيلا دقيقا للواقع الاجتماعي الذي عاشه المجتمع الجزائري إبان الفترة الاستعمارية، ويظهر ذلك من خلال تمكّن شخصيات الرواية من المحافظة على القيّم الدينية والوطنية على الرغم من طغيان الثقافة الغربية، وأيضا تشبثهم بالقيّم والأخلاق الإسلامية من خلال تمثيل العادات والتقاليد والتي تعكس الهوية الثقافية للمجتمع مما يسهم في ترسيخ الهويّة الوطنية الجزائرية .

كما تحمل الرواية في طياتها الجانب الانثروبولوجي الاجتماعي المتمثل في رحله الحج ونظرة المغاربة للحج التي تختلف تماما عن نظرة المشارقة فالحج عند المغاربة يكتسي أهمية ومناسبة عظيمة يتم التحضير لها منذ سنوات كما أن اسم الحاج له مكانة سامية في المجتمع إذ يلقى الاحترام والتقدير.

الخاتـــــــــــــمة

وفي الأخير يعد مالك بن نبي روائيّا فذّا ،إلا أنّه لم يكمل مسيرته في مجال الكتابة الرّوائيّة ،بل اختار أن يكون مفكّرا محاربا للأفكار التغريبيّة الّتي تحول دون قيام الحضارة الإسلاميّة ولذلك قيل : لو لم يكن مالك بن نبي صاحب قضية يدافع عنها لكان كاتب قضية كما ذَكر في بعض أحاديثه.

الملاحـــق

المـــــــــلاحق

الملحق 01

نبذة عن حياة مالك بن نبي

ولد مالك بن نبي في مدينه قسنطينة بالجزائر سنه 1905 ونشأ في أسرة متواضعة ،وكانت مراحل دراسته الابتدائية والثانوية بين مدينتي تبسة و قسنطينة سافر عام 1925 إلى مارسيليا وليون وباريس للبحث عن عمل ولكن دون جدوى ، ثم عاد الى الجزائر فعمل مساعد كاتب بمحكمة بتبسة ،وفي عام 1928 تعرّف مالك بن نبي على الشيخ عبد الحميد بن باديس فعرف قيمته الإصلاحية ،وفي سنه 1930 سافر مرة ثانية إلى فرنسا حيث سعى للدخول إلى معهد الدراسة الشرقية إلا أنه لم يفلح في ذلك وسمح له بالدخول إلى معهد اللاسلكي وتخرج منه مهندسا كهربائيا .بقي في باريس من عام 1939 إلى 1956 ثم ذهب إلى القاهرة للمشاركة في الثورة الجزائرية من هناك، وفي عام 1963 انتقل إلى الجزائر حيث عين وزيرا للتعليم العالي ولكنه استقال من منصبه عام 1967، وتفرغ للعمل الفكري وتنظيم ندوات فكريه كان يحضرها الطلبة من مختلف المشارب وظل مالك بن نبي ينير الطريق أمام العالم الإسلامي بفكره إلى أن توفي في 31 أكتوبر عام 1973[1]

من أهم مؤلفاته التي ألّفها ما بين سنتين 1946/ 1973 نجد :

-الظاهرة القرآنية 1946 .

-رواية لبيك حجا الفقراء 1947 .

-شروط النهضة 1948 .

-وجهة العالم الإسلامي 1957

[1] ينظر: واكي راضية : قراءة في رواية لبيك حج الفقراء ،للمفكر مالك بن نبي ،مجلة العداد،م2،ع1،ص193

المـــــــــلاحق

-مشكلة الثقافة 1959

-الصراع الفكري في البلاد المستعمرة 1960

-ميلاد مجتمع 1962 .

-مشكله الأفكار في العالم الإسلامي 1971 .

-المسلم في عالم الاقتصاد 1972 .

-فكره الكون كومنولث الإسلامي 1958

-تأملات في البناء الجديد 1960

-في مهب المعركة 1961

-أفاق جزائرية 1964

الملحق رقم 02

ملخص الرواية

رواية لبيك حج الفقراء كتبها المفكر والفيلسوف مالك بن نبي ترجمه إلى اللغة العربية وتم نشرها 2009 من طرف زيدان خوليف التي وجدها في رفوف إحدى المكتبات الفرنسية أثناء تحضيره لدكتوراه حول حياه وأعمال مالك بن نبي ،ثم تكفل عمر كامل المسقاوي بإعادة نشرها سنة 2015 2016 عن دار الفكر بدمشق وهي رواية تقع في 156 صفحه كسبت عجالة بين السفريتين في غرفه فندق وتم نشرها أول مرة عن دار النهضة بالجزائر 1947 حيث تحكي أعظم رحله في قلوب المسلمين وهي رحله الحج .

تدور أحداثها في مدينة عنابه(بونة إبان الاستعمار الفرنسي) حيث وضع ابن نبي القارئ آنذاك وحتى اليوم في أجواء التي كان يعيشها الإنسان الجزائري البسيط في كل مدينه جزائرية... حيث مؤثرات النمط الأوروبي حيث ضغط على الجو العام بطلها إبراهيم الذي سيذهب في رحلة حج تأتي بعد تجربة روحيه عميقة تغير حياته وتحوله من سكير إلى حاج ومن لا منتمي إلى منتمي ومن عربيد يشتغل فحام إلى تائب تعلقت روحه بالبقاع بعد رؤيته في الحلم أنه يلبسه لباس الإحرام في عمق الكعبة

وفي تشابك الأحداث وتطورها يظهر الحاج محمد جار إبراهيم الذي كان يساعده ويعينه على تحقيق حلم الحج وظهر زوجته تلك المرأة الوفيّة الصبورة التي بالرغم ما عانته من عربدات زوجها ومجونه وسكره إلا أنها كانت وفيه له رحيمة به تدعو له بالخير وعند سماعها بحجّه وبالرغم من انفصالها عنه بعثت له مع جارتها فاطمة زوجة محمد مسبحته أمّه التي بقيت محافظه عليها وفاء لأهل زوجها الذين كانوا طيبين معها .

كما يظهر الطفل هادي ذلك اليتيم الطائش الذي كان يعمل ماسح أحذية للملمع الأسود والذي تسلل إلى القارب الذي يحمل الحجاج إلى البقاع خفية وسرعان ما تحدث الفة بينه وبين إبراهيم الذي يعلمه أمور الدين على ظهر السفينة يتوب من طيشه ويؤدي فريضة الحج بعد أن وجد الجو العائلي الذي افتقده بوفاة والديه وهو يخالف الحجاج ويأنس بعطفهم ورحمتهم التي تحكي تالف المسلمين وتآخيهم على اختلاف الأمصار

وتنتهي الرواية بإيثار إبراهيم البقاء في البقاع المقدسة بعد تأديته فريضة الحج التي أحس بعدها بأنه إنسان جديد يرى من حوله عالما جديد يريد العيش في كنفه.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

*القران الكريم برواية ورش.

المصادر

1) مالك بن نبي : رواية لبيك حج الفقراء ،ترجمة زيدان خوليف ،دار الفكر ،دمشق ،سوريا دط،2009.

الكتب:

1) أحمد بن ناسي: المدخل الى فكر مالك بن نبي، دار النشر بن مرابط ، الجزائر ،الطبعة الأولى،2014،ص122.
2) أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي –تطوره وقضاياه–، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط3، 2017
3) أسوالد اشبنغلر: تدهور الحضارة الغربية، ت: أحمد الشيباني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
4) آمنة تشيكو: مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد توينبي، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
5) بدران بن مسعود الحسين: الحضارة العربية في الوعي الحضاري نموذج مالك بن نبي، كتاب الأمة، العدد 73، ط1، 1991.
6) بن براهيم الطيب، مالك بن نبي وابن خلدون مواقف وأفكار مشتركة، دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
7) جميل حمداوي : مستجدات النقد الروائي، شبكة الألوكة، ط1، 2011.
8) حسين مؤنس: الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة، الكويت، 1978.

قائمة المصادر والمراجع

9) حميد لحمداني : بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3.

10) صبيحة زعرب، غسان كنفاني: جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2006.

11) عبد المجيد جاعة: حضور الهوية الثقافية في صراع الأنا والآخر في رواية "لبيك حج الفقراء" لمالك بن نبي، مجلة الآفاق العلمية، العدد 2، 2024.

12) عبد اللّه الغذامي: القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، لبنان، ط2، 2009.

13) عبد مالك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة كتب شهرية ثقافية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998.

14) فهمي جدعان: أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، دار الشروق، ط3، 1988.

15) مالك بن نبي: تأملات، دار الفكر، الجزائر، ط5، 1991.

16) مالك بن نبي: في مهب المعركة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1991.

17) مالك بن نبي: شروط النهضة، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، 1986.

18) مالك بن نبي: مذكرات شاهد للقرن العشرين، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2، 1984.

19) مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصابور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط4، 2000.

20) مالك بن نبي: ميلاد مجتمع،ترجمة عبد الصبور شاهين دار الفكر –الجزائر

قائمة المصادر والمراجع

21) نادر أحمد عبد الخالق: الشخصية الروائية بين أحمد بالكثير ونجيب الكلاني، دراسة موضوعية وفنية، دار العلم والإيمان.

22) نور الدين مسعودان، مالك بن نبي: حياة وآثار، شهادات ومواقف، دار النون للطباعة والنشر، د.ط، د.ت.

23) ناصر الحجيلان : الشخصية في قصص الأمثال العربية، دراسة في الأنساق الثقافية للشخصية العربية، النادي العربي، الرياض، ط1، 2009.

24) وول وايريل ديورانت: قصة الحضارة، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج1، ص05. (المترجم: زكي نجيب محمود)

المعاجم:

1-بطرس البستاني :القاموس المحيط ،مكتبة ،مكتبة لبنان،بيروت 1998

2-ابن منظور: لسان العرب، ت: خالد راشد القاضي، دار الأبحاث، الجزائر، ط2، 2008.

3)الفيروز أبادي : قاموس المحيط مادة (ش،خ،ص)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995.

المجلات:

1 عبد المجيد جاعة: حضور الهوية الثقافية في صراع الأنا والآخر في رواية "لبيك حج الفقراء" لمالك بن نبي، مجلة الآفاق العلمية، العدد 2، 2022.

2 واكي راضية: قراءة في رواية لبيك حج الفقراء، للمفكر مالك بن نبي ،مجلة العداد،م2، ع1.

الفهـــــرس

الشكر والعرفان 3

الاهـــــــداء..... 4

مقـــــــــــــــــــدمة ..... أ

المدخـــــــــــــــــــــل:**نظرية الحضارة**.....

أوّلا / مفهوم الحضارة 2

ثانيا: فلسفة مالك بن نبي..... 4

1) الإنسان 5

2) التراب..... 6

3) الوقت..... 7

4)الفكرة الدينية: 8

ثالثا/المقصد من الحضارة 9

الفصـــــــــــــــل الأول :البعد الثقافي في رواية لبيك حج الفقراء..... 12

أولا: إسقاط الرواية على الجانب الفكري لمالك بن نبي..... Erreur ! Signet non défini.

المبحث الأول: تجليات الموروث الثقافي في الرواية: 13

أولا: مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي:..... 13

1) الأخلاق: 14

2) الجمال: 15

الفهـــــرس

3) المنطق العملي: 16

4) التقنية: **16**

ثانيا: الهوية الثقافية في الرواية: **17**

المبحث الثاني: البعد الديني في الرواية: **21**

أولا: دلالة الشخصيات: **22**

ثانيا: دلاله الأشياء: **23**

ثالثا: دلاله المكان: **23**

رابعا: دلاله الزمن: **24**

المبحث الثالث :الرؤية الفلسفية والفكرية في الرواية: **25**

أولا: إسقاط الرواية على الجانب الفكري لمالك بن نبي: **25**

ثانيا:فلسفه التغيير في الرواية **27**

ثالثا:رمزية الحج في الرواية: **28**

الفصـــــــــــــــــــــل الثاني البعد الاجتماعي في رواية لبيك **30**

المبحث الأول :الواقع الاجتماعي في رواية لبيك حج الفقراء..... **31**

أولا: المظاهر الاجتماعية في الرواية **31**

1)العادات والتقاليد **32**

2)صورة المرأة في الرواية : **33**

3)صورة العمل في الرواية..... **34**

الفهـــــرس

ثانيا: الجوانب الاجتماعية في الرواية 35

1)الجوانب السّلبيّة في الرواية..... 35

أ. الطّلاق 35

ب.الفقر والحرمان: 35

ج.الاحتقار والكراهية: 36

2)الجوانب الإيجابية 37

أ.حسن الضيافة..... 37

ب.التعاون والتضامن 38

المبحث الثاني: البعد الاجتماعي للشخصيات 39

أولا: مفهوم الشخصية..... 39

أ. لغة:..... 39

ب. اصطلاحا 40

ثانيا: الشخصيات الرئيسية 43

1) إبراهيم: 43

2)الطفل هادي..... 44

ثانيا: الشخصيات الثانوية..... 45

1) العم محمد 45

2) الزوجة زهرة: 45

الفهـــــرس

3) العمّة فاطمة 46

4) الجيران..... 46

5)شخصية المثقف 47

رابعا: العلاقة بين الشخصيات 48

1)علاقة إبراهيم بالجزائريين: 49

2)علاقة إبراهيم بالطفل الهادي..... 49

3)علاقة إبراهيم بالحجاج على ظهر السفينة 49

4)علاقة إبراهيم بالفرنسيين 50

الخاتـــــــــــــــــــــمة 51

الملاحـــــــــــــــــــــق 54

قائمة المصادر والمراجع 59

الملخص:

استطاع مالك بن نبي من خلال عمله الادبي لبيك حج الفقراء أن يبين أهمية الثقافة للنهوض بالمجتمع حضاريا. كما عبرت روايته عن أجواء الثورة الجزائرية اجتماعيا وثقافيا وسياسيا.

وكان ذلك عن طريق رحلة الحج " عنوانها لبيك حج الفقراء أراد من خلالها مفكرنا أن يبعث مشروعه الحضاري إلى القارئ والذي أساسه الدين الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: لبيك حج الفقراء، مالك بن نبي، المشروع الحضاري.

Summary:

In his literary work *Labayka Ḥijj al-Fuqara'* (*Here I Am, O Pilgrimage of the Poor*), Malek Bennabi articulates the pivotal role of culture in fostering civilizational renewal and societal progress. The narrative serves not merely as a fictional account, but as a medium through which Bennabi conveys his broader intellectual and reformist vision—one anchored in the epistemological and moral framework of Islam. Furthermore, the novel captures the socio-political and cultural dynamics of the Algerian Revolution, offering a nuanced portrayal of a society in the midst of existential transformation. Through the symbolic journey of pilgrimage, Bennabi positions Islam as the foundational axis of his civilizational project, seeking to awaken the collective consciousness of the Muslim reader toward a renewed historical agency.

Keywords: Labayka Ḥijj al-Fuqara', Malek Bennabi, civilizational projec